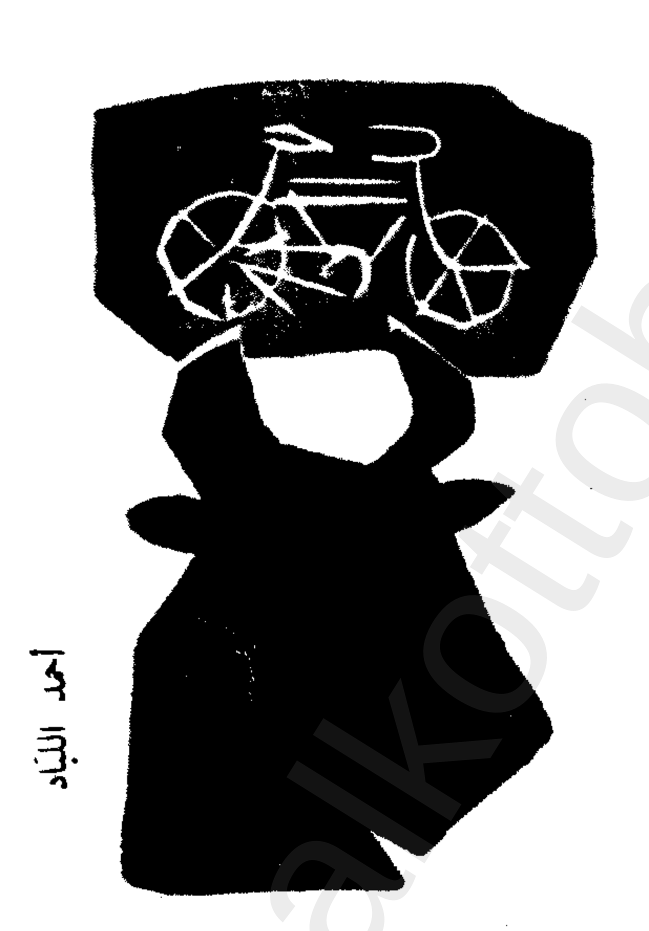
أحمد عبد المعطي حجازي



أحمد اللباد

مدينة بلا قلب

أخبار اليوم



مدينة بلا قلب

أحمد عبدالمُعطِى حِجازى

تصميم الغلاف والرسوم الداخلية والإخراج
أحمد اللبّاد

العام السادس عشر

أصدقائى !

نحن قد نغفو قليلا ،

بينما الساعةُ فى الميدانِ تمضى

ثم نصحو .. فإذا الركبُ يمرْ

وإذا نحن تغيرنا كثيرًا ،

وتركنا عامَنا السادس عشرْ

ooo

عامي السادس عشرْ

يوم فتحت على المرآة عيني

يومها .. واصفرَّ لوني

يومها .. دُرْتُ بدوَّامةِ سحرْ !
كان حُبِّى شُرفةً دكناءَ أمشى تحتَها
لأراها
لم أكن أسمعُ منها صَوتَها
إنما كانت تحيِّينى يداها
كان حَسْبى أن تحيِّينى يداها
ثم أمضى ، أسهرُ الليلَ إلى ديوانِ شِعْر
« يا فؤادى رَحِمَ الله الهوى
كان صرحاً من خيالٍ .. فهوى
إسقنى ، وَاشْربْ على أطلالِه
وارْوِ عنىَّ ، طالما الدمعُ روى » (*)
كنت أهْوَى هؤلاءِ الشعراء
أرتوى من دمعهم كُلَّ مساء
أتمنَّى معهم بالمستحيلْ

(*) مطلع قصيدة « الأطلال » للشاعر إبراهيم ناجى .

وبأَلوانِ الذُّبول

وبأوراقِ الخريفْ

وَهى تَعدو فى يد الريح إلى غورٍ مخيفْ

وبطيرٍ أَسودٍ فى اللانهايه

راح يستفتى نواقيس الهدايه

باحثاً فى الأرض عن دودٍ ، وعن رب جديدْ !

ooo

كنت أَهوى هؤلاءِ الشعراء

أتسامى فوق غيمٍ نسجوهْ

أتمطّى فى بَخورٍ أطلقوهْ

وأرى الحُبَّ . . شرودًا ، وتهاويمَ ، وحُزْنا

والحبُّ الحقُ . . من يَهوَى ويفْنى !

وعميقُ الحُبِّ . . حبٌّ لم يتم

ليقولوا . . يا للحنٍ لم يتم !

ooo

وليالى عامىَ السادسِ عشرْ
كان حلمى أن أظلَّ الليلَ ساهر
جَنْبَ قِنِّينةِ خمرْ
تاركاً شَعرىَ مهدولَ الخصلْ
مُطلِقاً فكرىَ فى كُلِّ السُّبُلْ
أتلقّى الوحىَ من شيطانِ شِعرى
وعلى خدّىَ دمعه
وعلى مكتبىَ الصامتِ شمعه
ترسمُ الظلَّ على وجهى الكئيبْ
وهْىَ تَذْوى فى اللهيبْ
بينما التبغةُ تكوى إصبَعى
وحنينٌ غامضٌ فى أضلعى
لبحارٍ ، يلعب القرصانُ فيها !

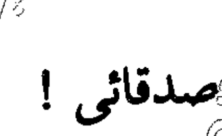
ooo

وَلَكَمْ عذَّبنى وقتُ الغروبْ
لونُهُ الجهمُ الخضيبْ
صمتُه ، سِربُ الطيورِ العائده
والزروعُ الهاجده
والثغاءُ المترامى من بعيد
لشياهٍ راقده
وغصونُ التوتِ تمشى فى الشفقْ
عارياتٍ . لا ورقْ
ونعوشُ النورِ تمشى
زمنا كم قلت آه !
كنتُ أهوَى أن أموت
أنتهى فى عامىَ السادس عشرْ !

ooo

أصدقائى !
نحن قد نغفو قليلاً

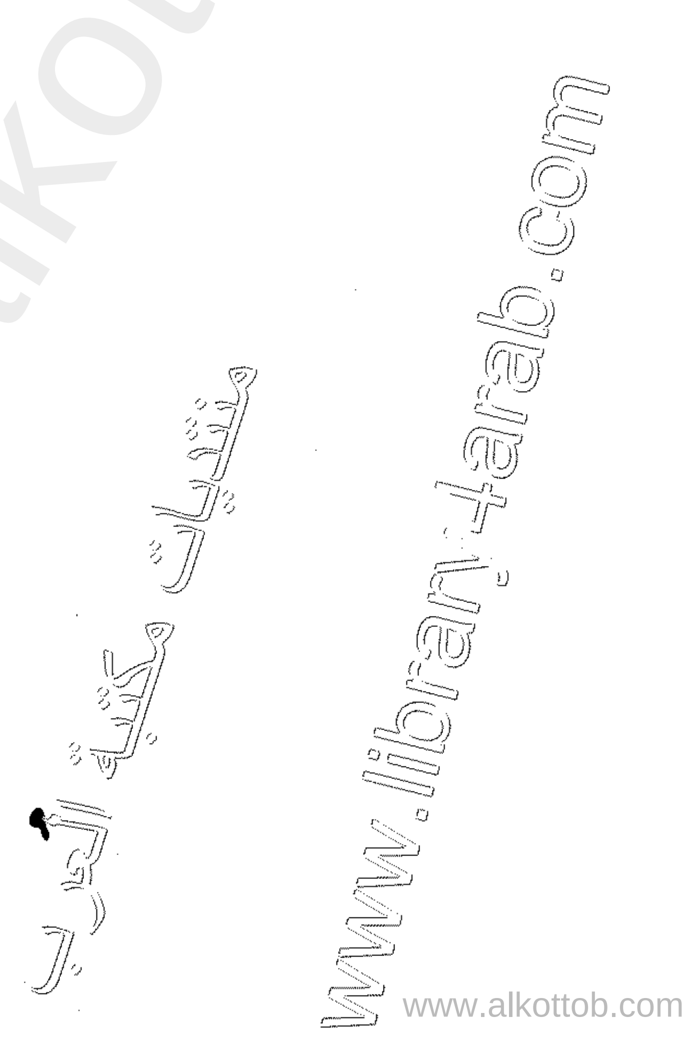
بينما الساعةُ فى الميدانِ تمضى
ثم نصحو ، فإذا الركبُ يمرْ
وإذا نحنِ تغيرنا كثيراً ،
وتركنا الأقبيه
وخرجنا ، نقطعُ الميدانَ فى كُلِّ اتجاه
حيث تسرى نشوةُ الدفءِ بأكتافِ العُراه
وعدَونا ، نحضنُ الأَطفالَ فى كلِّ طريق
ونناغى كُلَّ حلوه
كسُكارَى ، أخذتهم بعضُ نشوه
وبأنشودة نَصرْ
وبلحنٍ مشرقِ النبرةِ عانقنا الحياة
وبلغنا عامَنا التاسعَ عشرْ



أصدقائى !
ها هى الساعةُ تمضى

فاذا كنتم صغاراً ، فاحلِفوا ألَّا تموتوا
واحذروا عامكمُ السادسَ عشرْ !

يناير ١٩٥٦



كان لى قلب

على المرآةِ بعضُ غبارْ
وفوق المخدعِ البالى ، روائحُ نومْ
ومصباحٌ .. صغيرُ النارْ
وكلُّ ملامح الغرفه
كما كانت ، مساءَ القُبلةِ الأولى
وحتى الثوبُ ، حتى الثوبْ
وكنتِ بحافَّة المخدعْ
تردِّين انبثاقةَ نهدِكِ المترعْ
وراء الثوبْ
وكنتِ ترين فى عينى حديثاً .. كان مجهولا
وتبتسمين فى طيبه

وكان وداعْ !
جمعتُ الليلَ فى سمتى ،
ولفّقْتُ الوجومَ الرحبَ فى صمتى ،
وفى صوتى ،
وقلتُ .. وداعْ !
وأقسمُ ، لم أكنْ صادقْ
وكان خداعْ !
ولكنى قرأتُ روايةً عن شاعرٍ عاشقْ
أذلَّته عشيقتهُ ، فقال .. وداعْ !
ولكن أنت صدقتِ !

ooo

وجاء مساءْ
وكنتُ على الطريق الملتوى أمشى
وقريتُنا .. بحضنِ المغربِ الشفقى
وفى أفقِ

مخادعُ ثرَّةُ التلوينِ والنقشِ
تنام على مشارفها ظلالُ نخيل
ومئذنةٌ . . تَلوَّى ظلُّها فى صفحةِ الترعه
رُؤىً مسحورةٌ تمشى
وكنتُ أرى عِناقَ الزهرِ للزهرِ
وأَسمعُ غمغماتِ الطيرِ للطيرِ
وأصواتَ البهائمِ تختفى فى مدخلِ القرية
وفى أَنفى روائحُ خِصْبْ ،
عبيرُ عناقْ ،
ورغبةُ كائنين اثنين أن يلدا
ونازعنى إليك حنينْ
ونادانى إلى عُشك
إلى عشّى
طريقٌ ضَمَّ أقدامى ثلاثَ سنينْ
ومصباحٌ ينوِّرُ بابَكِ المغلقْ

على شُبَّاككِ الحرَّان هفافه
ولكنى ذَكرْت حكايةَ الأمسِ ،
سمعت الريحَ تَجهشُ فى ذُرى الصفصاف ،
تَقول .. وداعْ !

ooo

ملاكى ! طَيْرى الغائبْ !
حزمتُ متاعىَ الخاوى إلى اللقمة
وَفُتُّ سنينىَ العشرينَ فى دربِك
وحَنَّ علىَّ ملاَحُ ، وقال .. اركبْ !
فألقيتُ المتاعَ ، وَنِمْتُ فى المركبْ
وسبعةُ أبحرٍ بينى وبين الدار
أواجهُ ليلىَ القاسى بلا حُبِّ
وأحسُدُ من لهم أحبابْ
وأمضى .. فى فراغٍ ، باردٍ ، مهجورْ
غريبٌ فى بلادٍ تأكل الغرباءْ

وذات مساءْ

وعمرُ وداعِنا عامان

طرقتُ نواديَ الأصحابِ ، لم أعثُرْ على صاحبْ !

وعُدتُ . . تَدُعُّنى الأبوابُ ، والبوابُ ، والحاجبْ !

يدحرجنى امتدادُ طريقْ

طريقٍ مقفرٍ شاحبْ ،

لآخرَ مقفرٍ شاحبْ

تقوم على يديه قصور

وكان الحائطُ العملاقُ يسحقنى

ويخنُقنى

وفى عينى . . سؤالٌ طافَ يستجدى

خيالَ صديقْ

ترابَ صديقْ

ويصرخُ . . إننى وحدى

ويا مصباحُ ! مثلُك ساهرٌ وحدى

وبعْتُ صديقتى .. بوداعْ !

OOO

ملاكى ! طيرىَ الغائبْ !
تعالىْ .. قد نجوعُ هنا
ولكنّا هنا اثنان !
ونَعْرى فى الشتاءِ هُنا ،
ولكنّا هنا إثنانِ
تعالىْ يا طعامَ العمرْ !
ودفءَ العمرْ !
تعالىْ لىِ !

فبراير ١٩٥٦

الطريق الى السيدة

- ياعمُّ . .

من أين الطريقْ ؟

أين طريق « السيدة » ؟

- أيمنْ قليلاً ، ثم أيسر يا بنىّ

قال . . ولم ينظرْ إلىّ !

ooo

وسرْتُ يا ليلَ المدينه

أرقرق الآهَ الحزينه

أَجُرُّ ساقى المجهده

للسيده

بلا نقودٍ ، جائعَ حتى العياءْ

بلا رفيق

كأنني طفلٌ رمتهُ خاطئه

فلم يعره العابرون فى الطريقْ

حتى الرثاء !

ooo

إلى رفاقِ السيده

أجُرُّ ساقى المجهده

والنورُ حولى فى فرحْ

قوسُ قزحْ

وأحرفُ مكتوبةٌ من الضياء

« حاتى الجلاء »

وبعضُ ريحٍ هينٍ ، بدءُ خريف

تُزِيحُ ذيَلَ عقصةٍ مغيّمه

مُهَوّمه

على كتفْ
من العقيقِ والصدفْ
تُهفهفُ الثوبَ الشفيفْ
وفارسٌ شدَّ قوامًا فارعاً ، كالمنتصِرْ
ذراعُه ، يرتاحْ فى ذِراع أنثى ، كالقمرْ
وفى ذراعى سلة ، فيها ثيابْ !

ooo

والناسُ يمضون سراعًا
لا يحفِلون
أشباحهم تمضى تباعًا ،
لا ينظرونْ
حتى إذا مرّ الترامْ
بين الزحامْ
لا يفزعونْ
لكننى أخشى الترامْ

كُلُّ غريبٍ ههنا يخشى الترام !
وأقبلتْ سيارةٌ مجنَّحه
كأنها صدرُ القدرْ
تُقلّ ناساً يضحكون فى صفاءْ
أسنانُهم بيضاءُ فى لونِ الضياءْ
رؤوسُهم مرنَّحة
وجوهُهم مجلوّةٌ مثلُ الزَّهرْ
كانت بعيداً ، ثم مرّت ، واختفت
لعلها الآن أَمامَ السيده
ولم أزلْ أجرُّ ساقى المجهده !

ooo

والناسُ حولى ساهمونْ
لا يعرفون بعضَهم .. لا يعرفونْ
هذا الكئيبْ
لعله مثلى غريبْ

أليس يعرف الكلامْ ؟

يقول لىْ . . حتى . . سلامْ !

يا للصديقْ !

يكاد يلعنُ الطريق

ما وجهتُه ؟

ما قصتُه ؟

لو كان فى جيبى نقودْ !

لا . لن أعودْ

لا لن أعودَ ثانياً بلا نقود

يا قاِهره !

أيا قبابًا متخماتٍ قاعده

يا مئذناتٍ ملحده

يا كافره

أنا هنا لا شىءَ ، كالموتى ، كرؤيا عابره

أجرُّ ساقى المجهده

للسيده !

للسيده !

نوفمبر ١٩٥٥





لمن نغنى ؟ !

من أجل أن تتفجرَ الأرضُ الحزينةُ بالغضبْ
وتُطِلَّ من جوفِ المآذنِ أغنياتٌ كاللهبْ ،
وتضيءَ فى ليل القرى ، كلماتنا
وُلِدَتْ هنا كلماتُنا
وُلِدَت هنا فى الليل يا عودَ الذره
يا نجمةً مسجونةً فى خيط ماءْ
يا ثدىَ أمٍ ، لَمْ يعدْ فيه لبن
يا أيها الطفلُ الذى مازال عند العاشره
لكنّ عَيْنَيْه تجوّلتا كثيرًا فى الزمن
يا أيها الإنسانُ فى الريفِ البعيدْ
يا من تعاشر أنفساً بكماءَ لا تنطقْ

وتقودها ،

وكلاكما يتأملُ الأشياءْ

وكلاكما تحتَ السماءِ ، ونخلةٌ ، وغراب ،

وصدى نداءْ

يا أيها الانسانُ فى الريفِ البعيد

يا من يَصُمُّ السمعَ عن كلماتنا

أدعوكَ أن تمشى على كلماتِنا بالعينِ ، لو صادفتهَا

كيلا تموتَ على الورقْ

أسقطْ عليها قطرتين من العرقْ

كيلا تموت

فالصوتُ إن لم يلقَ أذنًا ، ضاعَ فى صمتِ الأفقْ

ومشى على آثاره صوتُ الغرابْ !

ooo

كلماتُنا مَصْلُوبَةٌ فوق الورقْ

لَمَّا تزلْ طينًا ضريراً ، ليس فى جنبيه روحْ

وأنا أريد لها الحياه ،
وأنا أريد لها الحياة على الشفاه
تمضى بها شفةٌ إلى شفةٍ ، فتولد من جديدْ !

OOO

يا أيها الإنسانُ فى الريف البعيد !
أدعوك أن تمشى على كلماتنا بالعين ، لو صادفتَها ،
أن تقرأَ الشوقَ المُلِحَّ إلى الفرحْ
شوقاً إلى فرحٍ يدوم
فرحٍ يشيعُ بداخل الأعماقِ ، يضحكُ فى الضلوعْ
كى تنبت الأزهارُ فى نفس الجميعْ
كى لا يحبَّ الموتَ إنسانٌ على هذا الوجود

OOO

وُلدتْ هنا كلماتنا
لكِ يا تقاطيعَ الرجالِ النائمين على التراب

الماثلين على دروبِ الشمسِ ، والبطِّ المبرقشِ ،
والسحابْ

فوراءَ سمرتِكِ الْحَيِّيةِ يلتوى نهرُ الألمْ
وبجانبِ العينينِ طيرٌ ، ناصعُ الزرقه
مدَّ الجناحَ على اصفرارٍ كالعدمْ
وهفا ليرتشفَ الدموع
إنى أحبُّك أيها الإنسانُ فى الريفِ البعيد !
وإليك جئتُ ، وفى فمى هذا النشيد
يا من تمر ولا تقفْ
عند الذىَ لم يُلقِ بالاً للسكارى والستائرِ والغرفْ
وأتى إليكَ ، إلى فضائِكَ بالنغمْ
نغمٍ تلوَّعَ فى فؤادى قبلما غنَّيتُ لكْ
فأنا الذى عالجتُ نفسى بالهوى ،
كى تخرجَ الكلماتُ دافئةَ الحروفْ
وأنا الذى هَرْوَلْتُ أياماً بلا مأوى ، بدون رغيفْ
كى تخرجَ الكلماتُ راجفةً ، مروَّعةً بكل مخيفْ

وأنا ابن ريفٍ

ودَّعتُ أهلى وانتجعتُ هنا ،

لكنَّ قبرَ أبى بقريتنا هناك ، يحفُّه الصبارْ

وهناك ، ما زالت لنا فى الأُفْقِ دارْ

ooo

لو أن الطريق إلى فؤادك أيها المنفىُّ فى صمتِ

الحقولْ

لو أننى نایٌ بكفِكَ تحت صفصافه !

وراقُها فى الأفقِ مروحةٌ

خضراءُ هفهافه

لأخذت سمعَكَ لحظةً فى هذه الخلوه

وتلوتُ فى هذا السكون الشاعرىِّ حكايةَ

الدنيا

ومعاركَ الإنسانِ ، والأحزانِ فى الدنيا

ونفضتُ كلَّ النارِ ، كلَّ النارِ فى نفسك

وصنعت من نغمي كلاماً واضحاً كالشمس
عن حقلنا المفروش للأقدامْ
ومتى نقيم الْعُرْس ؟
ونودِّع الآلامْ !

أغسطس ١٩٥٧

سلة ليمون

سلَّةُ ليمونْ !
تَحْتَ شُعَاعِ الشمسِ المسنونْ
والولدُ ينادىَ بالصوتِ المحزونْ
« عشرون بقرشْ »
« بالقرش الواحد عشرونْ ! »

ooo

سلةُ ليمونٍ ، غَادرت القريةَ فى الفجرْ
كانت حتى هذا الوقتِ الملعونْ ،
خضراءَ ، مندَّاةً بالطلّ
سابحةً فى أمواج الظلّْ

كانت فى غفوتِهاَ الخضراء عروسَ الطيرْ
أوَّاه !
من روَّعَها ؟
أىُّ يدٍ جاعت ، قطفتْها هذا الفجرْ !
حملتْها فى غبشِ الإصباح
لشوارعَ مختنقاتٍ ، مزدحماتْ ،
أقدامٌ لا تتوقف ، سياراتْ ؟
تمشى بحريق البنزينْ !
مسكين !
لا أحدَ يشمُّك يا لَيْمونْ !
والشمسُ تجفف طلَّك يا لَيْمونْ !
والولد الأسمر يجرى ، لا يلحق بالسيارات
« عشرون بقرشْ »
« بالقرش الواحد عشرونْ ! »

أواخر ١٩٥٧

إلى اللقاء

إلى رجاء النقاش

يا أصدقاءُ !

لشَدَّ ما أخشى نهايةَ الطريقْ

وشَدَّ ما أخشى تحيةَ المساءْ

« إلى اللقاء » !

أليمةٌ « إلى اللقاءِ » و « اصبحوا بخير ! »

وكلُّ ألفاظِ الوداع مُرَّةٌ

والموتُ مرّ

وكلُّ شيءٍ يسرقُ الإنسانَ من إنسان !

٢

شوارعُ المدينةِ الكَبيره
قيعانُ نارْ
تجترُّ فى الظهيره
ما شربتْهُ فى الضحى من اللهيبْ
يا ويلَه مَنْ لم يصادفْ غيْرَ شمسِها
غيرَ البناءِ والسياجِ ، والبناءِ والسياجْ
غيرَ المربَّعاتِ ، والمثَلثاتِ ، والزجاجْ
يا ويله من ليلةِ فضاء
ويومِ عُطْلَتِه
خالٍ من اللقَاءْ
يا وَيْلَه من لم يحب
كُلُّ الزمانِ حولَ قلبِه شتاء !

٣

يا أصدقاء !

يا أيها الأحياءُ تحتَ حائطٍ أصمْ
يا جذوةً فى الليل لم تنمْ
لشَدَّ ما أخشى نهايةَ الطريقْ
أودُّ ألا ينتهى
ولا يضيقْ
ويفرشَ الرؤى المخضلةَ السعيده
أمامنا .. فى لا نهايةٍ مديده
كأفق قريةٍ فى لحظةِ الشروقْ
والأفقُ رحبٌ فى القرى حنون
وناعمٌ وقرمزىٌ يحضن البيوتْ
وتسبح الأشجارُ فيه كالهوادجِ المسافره
يا ليتنا هناك !
نسير تحت صمتهِ العميقْ
ونورهِ المضبَّبِ الرقيقْ
جزيرةً من الحياه

ينساب دفءُ زرعِها على المياه
ولا تملُّ سيرَها .. يا أصدقاء !

٤

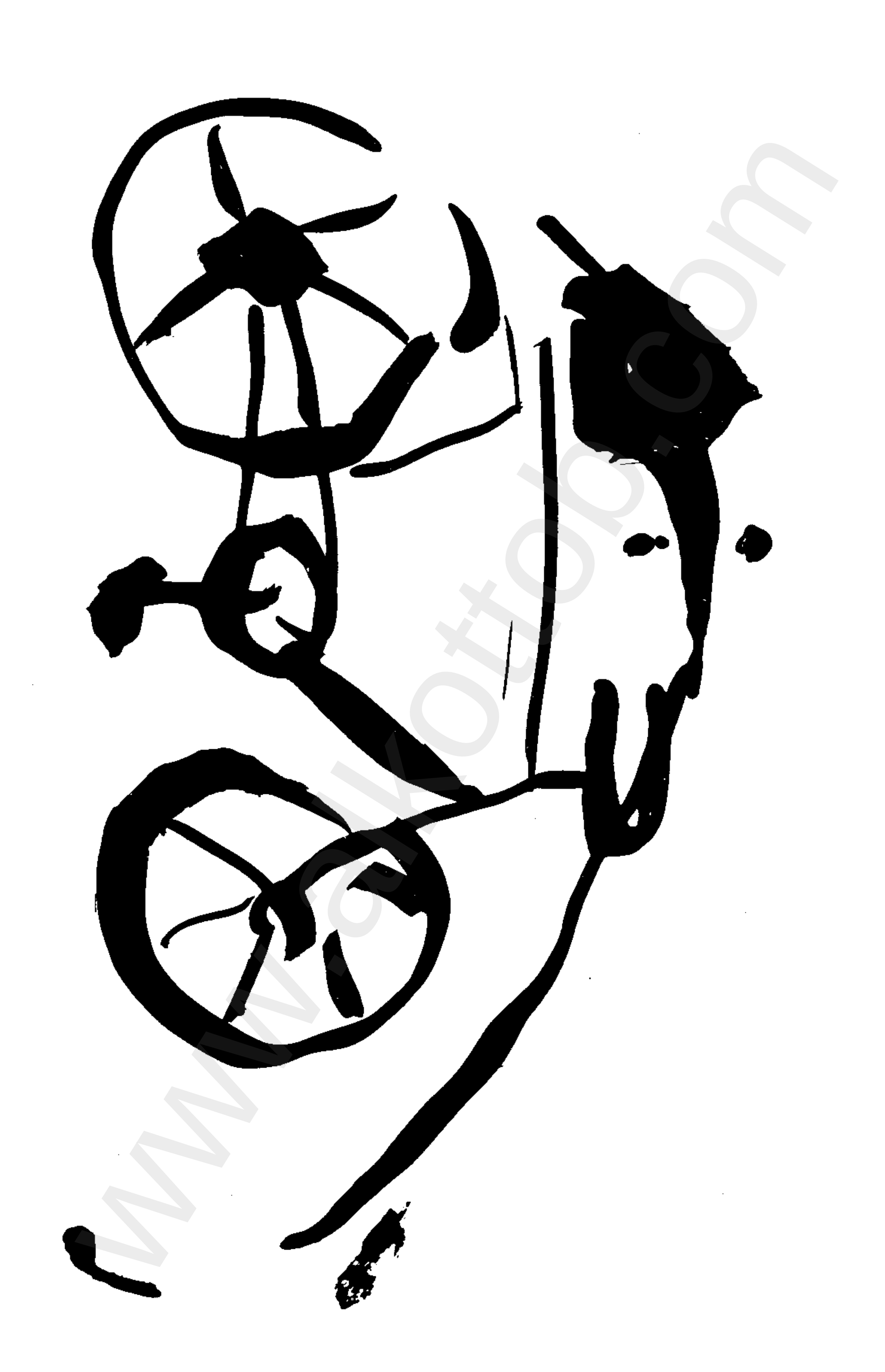
الليلُ فى المدينةِ الكبيره
عيدٌ قصيرْ
النور والأنغامُ والشباب
والسرعةُ الحمقاءُ والشراب
عيدٌ قصيرْ
شيئاً .. فشيئاً .. يسكتُ النغمْ
ويهدأُ الرقصُ وتتعبُ القدمْ
وتكنس الرياحُ كلَّ مائده
فتسقط الزهور
وترفعُ الأحزانُ فى أعماقِنا رُؤُسَهَا الصغيره
وننثنى إلى الطريق

صفَّان من مسارجٍ مضبّبه
كأنها عِمدانُ قريةٍ مخربه
تنام تحتها الظلالْ
وقد تمرُّ مركبه
ترمى علينا بعضَ عطرِها السجينْ
وساعةُ الميدانِ من بعيد
دقَّاتُها ترثى المساء
وتلتوى أمامنا مفارقٌ ثلاثه
تمتد فى بطنِ الظلامِ والسكون
وتهمسونْ :
« إلى اللقاء ! »

الليلُ وحدَهُ يهونْ
وداعُهُ يهون فالنهارُ ذو عيونْ
تُجمِّعُ العِقدَ الذى انفرطْ
لكنَّ دربَنا طويلْ

وربما جُزناه أشهراً وأشهراً معا
لكننا يوماً سنرفع الشراعْ
كُلٌّ إلى سبيل
فَطهِّروا بالحبِّ ساعةَ الوداعْ !

أبريل ١٩٥٦





قصة الأميرة
والفتى الذى يُكَلِّمُ المساء

أَعرِفُها ، وأَعْرِفُهْ
تلك التى مضت ، ولم تقل له الوداعَ ، لم تشأْ
وذلك الذى على إبائه اتكأْ
يجاهدُ الحنينَ يوقفُهْ
كان الحنينُ يجرفهْ
فهو أنا وأنت ، والذين يحفرون تحت حائطٍ سميكْ
لتصبحَ الحياةُ عُشَّ حبّ
بِهِ رغيفٌ واحدٌ ، وطفلةٌ ضحوكْ !

ooo

أَعْرِفُها ، وأَعْرِفُهْ

أميرةٌ شرقيةٌ تهوى الغناءْ
تهواه لا تحترفُهْ
وتعشق الليالىَ الماسيَّةَ الضياءْ
- صاحبةُ السموِّ أقبلت
ويصبحُ البهوُ المليءُ ضفتين
وتهمسُ الشفاهُ كِلْمتينْ .. كِلْمتينْ
- عشيقُها هذا المساءَ شاعرٌ أنيقْ
- نعم .. فإنها تضيق بالعشيقْ
إذا أتى الصباحُ وهوَ فى ذراعها
وتهمسُ امرأه
- دولابُها يضمُّ ألفَ ثوبْ
وتهمسُ امرأه
- وقلبها يضمُّ ألفَ حُبّ
- نعم نعم .. فإنها أميرةٌ لا تكتفى بحب
ويخفتُ الحديثُ ثم يهتف المضيف
- يا أصدقاء

صاحبة السمو تبدأ الغناءْ !
ويخفتُ الضياءُ غيرَ كُوَّةٍ تنيرُ وجهَها
وتبدأ الغناءَ .. « أوف ! »
« قلبى على طفلٍ بجانب الجدارْ
لا يملك الرغيف ! »
وتلهث الأكفُّ .. فلتحيا نصيرةُ الجياعْ
ثم تدور عينُها لتلمحَ الذى أصابه الكلامْ
وعندما يرفُّ نُورُ الشمسِ تهمس « الوداعْ »
وفى ذراعِها عشيقُها الجديدْ !

ooo

أَعْرِفُها ، وأَعْرِفُهْ
لأننى كنت كثيراً ما أُصادفُهْ
على شجيرةِ المساءِ ، قابعاً بنصفِ ثوبْ
يقول للمساءْ
« يا أيها الحزنُ الأثيرىُّ الرحيبْ !

يا صاحبَ الغريبْ
أنا كلامُ الأرضِ .. هل أنْصَتَّ لى ؟!
أنا ملايينُ العيونِ .. هل نظرتَ لى ؟!
لى مطلبٌ صغيرْ
أن تصبحَ الحياةُ عُشَّ حبْ
به رغيفٌ واحدٌ وطفلةٌ ضحوكْ ! »

وفى ليالى الخوفِ طالما رأيتهُ يجولُ فى الطريق
يستقبل الفارينَ من وجهِ الظلامْ
ويوقد الشموعَ من كلامِهِ الوديعْ
ففى كلامِهِ ضياءُ شمعةٍ لا تنطفىء
ويتركُ اليدينِ تمشيانِ بالدعاءْ
على الرؤوسِ والوجوه
وتمسحان ما يسيلُ من دموع
« ألصبحُ فى الطريق
يا أصدقائى ! إننى أراه

فلا تخافوا . . بعد عامٍ يُقبِلُ الضياءْ ! »
وعندما يمشون تمشى فوق خديه الدموعْ
ويفلت الكلامُ منه ، يفلت الكلام
« هل يُقْبِلُ الضياءُ حَقاً بعد عامْ ؟ »

ooo

ذاتَ مساءٍ كان صاحبى يُكلِّم المساءْ
فانساب مقطعٌ مع الرياحِ ثم وَشْوَشَ الأميره
فقرّبت مرآتَها وصفْقت
« يا أيها الغلام !
بجانب القصرِ فتىً يخاطبُ الظلامْ
إذهبْ إليه ، قل له سيدتى تريد أن تُكلمَك
ولا تقل - أميرتى »
. . . ثم تهادت نحو شرفةٍ جدرانُها زهورْ
ورددت فى الصمتِ « أوفْ ! »
« قلبى على طفلٍ بجانبِ الجدارْ

لا يملك الرغيفْ ! »
وأقبل الغلامُ يسبق الفتى
- أميرتى .. سيدتى .. أتيتُ به !
- « أهلاً وسهلاً ... ليلُنا سعيدْ
ادخل .. تفضل » .. وانقضى المساء !
.. وفى الصباحِ ساءلتْهُ .. « ما الذى رأيت ؟ »
- « سيدتى .. إنى رأيت كُلَّ خيرِ »
« سيدتى ... أنا سعيدْ ! »
قالت له ، وعينُها فى عينه المسهدهْ
- « آراك قد عشقتنا ! »
فلم يرد صاحبى
قالت له : « فما الذى تعطيه لى لو أَننا عشنا معا !؟ »
فدمّعا
ثم أجابها وصوتُه منغَّمٌ حزينْ
« سيدتى .. أنا فتىً فقير
لا أملك الماسَ ولا الحرير

وأنتِ فى غِنىً عما تضمُّ أشهرُ البحارِ من لآلْ
فقلبك الكبير جوهره
جوهرةٌ نادرةٌ فى تاجِ عصرنا
ولو قَضيتُ عمرىَ الطويلَ أقطعُ البحارْ
وأنشرُ القلاعْ
وأبسط الشباكَ ، أقبض الشباكْ
لَماَ وَجَدْتُ مِثْلَهاَ
لكنىً وجدتها هنا
وجدتها لما سمعت لحنك المنساب كالحرير
يبكى لطفل نام جائعا ! »
.. فابتسمت قائلةً : « لا . . أنتَ شاعرٌ كبير !
يا سيدى أنا بحاجةٍ إلى أمير
إلى أمير ! »
وانسدّ فى السكون باب !!

ooo

أَعْرِفُها ، وأعرفُهْ

تلك التى مضت ولم تقلْ لهُ الوداعَ .. لم تشأْ

وذلك الذى على إبائِه اتكأْ

يجاهدُ الحنينَ يُوقِفُهْ

كان الحنينُ يجرفُهْ

أبريل ١٩٥٧

مقتل صبى

الموتُ فى الميدان طَنّ
الصمتُ حطَّ كالكَفَنْ
وأقبلتْ ذبابةٌ خضراءْ
جاءت من المقابرِ الريفيةِ الحزينه
وَلَوْلَبَتْ جناحها على صبىٍّ مات فى المدينة
فما بكت عليه عينْ !

ooo

الموتُ فى الميدان طَنّ
العجلاتُ صَفَّرَت ، توقفتْ
قالوا : ابنْ مَنْ ؟

ولم يُجِبْ أَحَدْ

فليس يعرف اسمَه هنا سواه

يا ولداه !

قيلت ، وغاب القائلُ الحزينْ

والتقت العيونُ بالعيونْ

ولم يُجبْ أحدْ

فالناسُ فى المدائنِ الكبرى عَدَدْ

جاء ولدْ

مات ولدْ !

الصدرُ كان قد هَمدْ

وارتدْ كفُ عضً فى الترابْ

وحملقتْ عينانِ فى ارتعابْ

وظلَّتا بغير جَفْنْ !

ooo

قد آن للساقِ التى تَشرَّدتْ أن تستَكِنْ !
وعندما ألقوْهُ فى سيارةٍ بيضاءْ
حامت على مكانِهِ المخضوبِ بالدماءْ
ذبابةٌ خضراءْ !!

يناير ـ ١٩٥٨



المخدع

ولما أفاقَتْ عن رداءٍ ممزّقٍ

ونوحِ سريرٍ آثمٍ خافتِ الهمسِ

وكأسين ، كأسٌ لا يزالُ بكفّها

وكأسٌ يغنى وحده قصة الأمسِ

وضوءِ سراجٍ غامضٍ ظِلُّهُ صدىً

لألوان حلمٍ باهتٍ ذِكرهُ يُنسى

هما أغمضاه عندما رقص اللظى

ومالتْ ظلالُ العاريين على الكأسِ

وعصفورةٍ حيرى الجناح ضريرةٍ

رماها الدجى فاشتاقت النورَ باللمسِ

تَرَدَّدُ بين السقفِ والبابِ علّها

تشم شعاعاً تاه عن موكبِ الشمسِ

وريحٍ من الوديان حنَّانةِ الصدى

تئِنُّ خلالَ الثقبِ واهنةَ الجرسِ

تسوق حنينَ الليلِ للمخدع الذى

تثاءب فيه الـدفـءُ والمئزرُ المنْسى

وآهٍ على الأَسجافِ لَوْعَى مديدةٍ

كمرثيةٍ ضلَّتْ طريقاً إلى الرمسِ

تَزُفُّ ليالى الأنس ، والصمتُ حولها

تـرابٌ تـردَّت عنـده ليلةُ الأُنس

ولـما أَفـاقت يـا لِـطُهـرِ أنـامـلٍ

تردُّ طَيوراً فى الخيالِ عن الغرسِ

تُغَطِّى بياضَ النهدِ والنهدُ حـانةٌ

عليها خُطى الفسّاقِ داميةُ الجسِ

تلوت تُـوارى فى يـديهـا مفـاتنـاً

عرايا تَشَهَّاهَا المصلُّون فى القدسِ

تَــزَمٌ - كعـذراءٍ - فُتــوقَ ردائهـا
على أىِّ شىءٍ يا معذبةَ النفسِ ؟
وولت تردُّ البابَ خلفَ مـدامعٍ
لها كلَّ إصباحٍ طريـدةُ فردوسِ

يونيه - ١٩٥٤



مذبحة القلعة

الدُجى يحضُنُ أسوارَ المدينه
وسحاباتٌ رزينه
خرقتها مئذنه ..
ورياحٌ واهنه
ورذاذٌ ، وبقايا من شتاءْ

ooo

... وتلاشى الصمتُ فى وقع حوافرْ
وترامى الصوتُ من تلٍّ لآخرْ
فى المقطَّمْ
وبدا فى الظلمةِ الدكناءِ فارسْ

يتقدَّمْ !

وبدا فى البرج حارسْ

وجهُه فى المِشعَلِ الراقصِ أقتمْ

متجهِّمْ !

ثم رنَّت فى فراغ البرجِ صيحه

ثم دارَ البابُ فى صوتٍ شديدِ

بابُ قلعه

فيه آثارُ دماءٍ وصدأ

واختفى الفارسُ فى أنحائها

صاعداً يحمل « للباشا » النبأ

« المماليك جميعاً فى المدينة ! »

ooo

ثم يمتدُّ السكونْ

والدجى يحضن أسوار المدينه

وسحاباتٌ رزينه

خرقتها مئذنه

ورياحٌ واهنه

تتلوى فى تجا÷يفِ الحوارى

حيث مازال المنادى

يتلوى فى الحوارى

راجفاً فى الصمتِ .. « يا أهل المدينه

فى البكورْ

سوف يمضى جيش « طُوسُنْ »

ابنِ والينا الكبيرْ

للحجازْ

لقتالِ الكافرين الخارجينْ

عن موالاةِ أميرِ المؤمنينْ

ساكنِ البسفورِ ، حامى الآستانه

نضَّرَ اللهُ زمانَه !

وسيمضى الناسُ للقلعةِ فى ركبٍ كبيرْ

بين أفراحٍ وزينه

والمماليكُ وأعيانُ المدينه
لوداع الجيش قبل السفر »
وَيمدُّ العينَ شيخٌ خارجٌ من بابِ دارْ
يتوارى ويُتَمْتِمْ
« فى جهنم !
ما لنا نحن وطوسن يا حمارْ ؟! »
ويردُّ البابَ فى حقد وراءهْ
ثم ينداحُ المنادى ، والصدى
يتلاشى . . يتلاشى . . مجهدا
ويعود الصمتُ يمشى فى الحوارى الحجريه
حيث مازالت رسومٌ فاطميّه
وطلول شركسيّه
ودِمَنْ
ضيّعت أنسابَها أيدى الزمنْ
وعَفَنْ
وبيوتٌ ، وصخورٌ ، وترابْ

نام فيها الجوعُ واسترخى الذبابْ
وصلاةٌ خافته
وكلابٌ ، وفراخٌ ميِّته
والحوارى ساكته
غيرَ شحَّاذٍ يغنى للقلوبِ المؤمنه
ورياحٍ واهنه
تتلوَّى فى الحوارى الحجريه
ثم تمضى فى دروبِ الأزبكيه
فى مياهِ البركةِ الخضراءِ تهوى
حيث يبدو قصرُ مملوكٍ جميلْ
روَّعَ الإفرنجَ فى يومٍ طويل
عندما شَدُّوا الخيول
لتبول
فوق صحنِ الأزهر المعمورِ ! لا كانت تعودْ
عندما شدّوا الخيولْ
وأمين بك

آه هذا الفارسُ الشهمُ النبيل

قال : « هيا يا جنودَ اللهِ يا أهل المدينهْ

أنا منكم ودمى من قمحِكم

وجراحى قطرةٌ من جُرحِكم

وقراكم موطنى . إنى غريبْ

قد رعانى ذلك الوادى الخصيب

فانهضوا وامضوا معى

نغسلِ العارَ بكأسٍ مترعِ

من دمائى ودماكم ! »

آه .. ما أروعَ أصواتَ الجموعْ

عندما سارت إليه كالدموعْ

« يا أمين بك ! أنت منا وتربيّت هنا ! »

وانبرى بائعُ أثوابٍ قديمه

قائلاً « هيا بنا ! »

آه ! لا كانت تعود !

الدجى مازال يجتاحُ المدينهْ
ونباحٌ من بعيد
وزعيقُ الحارسِ المقرور يَذْوى
ورياحُ الليلِ تمضى بالهشَيمْ
حيث يهوى
فى مياه البركةِ الخضراءِ يهوى
ونباحٌ من بعيد
من بعيد
يختفى
فى الصباح الراجفِ
وتدق الشمسُ أبوابَ المدينه
« يا كريم ! »
قالها السَّقا على بابٍ قديمْ
ويموجُ السوقُ بالذكرِ الحكيمْ
ويُحيِّى الناسَ درويشٌ صبوح
تحت يمناه [illegible] مبخره

تنفح السوقَ غيوماً عاطره
ثم يمضى ويصيخْ
« يا كريم ! »
ومشت فى المشربيَّاتِ العتاق
ضحكاتٌ ناعماتْ
لجوارٍ حالماتْ
بحريرٍ ، وعطورٍ ، وانطلاق
وضجيجٌ ونكات
كُلُّ لَمحهْ
كُلُّ صيحه
ولو الصيحةُ فرحه
خلفها حزنٌ عريق
صوتُ بوق !
ـ « عسكر الباشا ! » وينسدُّ الطريق
بخليطْ
من بلادِ الأرناؤوط

وبلاد الصربِ ، والأتراكِ . . من كل البلادْ
ـ « وسّعوا يا ناس للركب ! » وينسدُّ الطريقْ
ويثيرون الغبار
عَالِمٌ يركب بغله
تتهادى فى وقارْ
نقلةً فى إثر نقله
تقصد القلعةَ للمحتفلين
والمماليكُ بدَوْا فوق الخيولِ العربيه
بالثياب الموصليّه
والفراءِ السيبريّه
ببقايا عزّهم . . مثلَ الشُهُبْ
يغصبون الابتسامْ
ويدارون الغضب
وجموعُ الناسِ ترنو وتشير
ـ « آه يا عينى . . لقد أضحوا يتامى مثلنا ! »
ـ « ما لهم فى الأمرِ شىءٌ مثلنا ! »

وأشار الناسُ فى وجهِ أمين بك ثم قالوا :
ـ « ذلك الوجهُ القمر
ذلك الشهمُ النبيل
روَّع الإفرنجَ فى يومٍ طويل ! »

ooo

وتهادى الركبُ للقلعةِ هَوْنا
يصعد التلَّ إلى القلعةِ هونا
صوتُ بوق !
ثم رنَّت فى فراغ البرجِ صيحه
ثم دار البابُ فى صَوتٍ شَديد
بابُ قلعه !
فيه آثارُ دماءٍ وصدأ
ومضى كلُّ المماليكِ يُغذون الخطى
ويثيرون الصدى
بين أسوارٍ وأَبراجٍ رهيبه

دخلوا القلعةَ ثم التفتوا فى بعض ريبه
فإذا بالبابِ يرتدُّ هناكَ !!!
وإذا صوتُ الجموع
صادرٌ من خلف بابٍ .. من هناك
« أطلقوا ! »
قالها قائد جند الأرناؤوط
« أطلقوا ! »
فالنار تهوى كالخيوطْ
كالمطرْ
زغرداتٌ مستريبه
تتردّى بين أسوارٍ وأبراجٍ رهيبه
« آه يانذلُ لقد خنت ... » ويهوى كالحجرْ
ورصاصٌ كالمطرْ
وجنودُ الأرناؤوطْ
من قريبٍ وبعيدْ
من علٍ .. من تحتِ .. أيدى أخطبوط !

تطلق النارَ ، فكم خَرَّ حصانْ
ملقياً سيدَه فوقَ الدماء
فترش السقطةُ الجدرانَ دمْ
وألمْ
« آه يا نذل . . » ويهوى كالحجر
والخيول
حمحماتٌ وصهيل
ترفسُ الصخرَ فينطقُّ الشرر
والصَّخَبْ
« أنت محصورٌ فخذها »
« لا تفكِّر فى الهرب »
« أنت ودعتَ الحياهْ ! »
ثم يهوون كسُنبُلْ
تحت مِنجَلْ
« آه ياما أصعبَ الميتةَ من كَفِّ الجبان ! »
وأمين بك جانبَ السور وفى يمناه سيفه

هل يفيد السيفُ؟ آهٍ لن يفيد
« يا مماليك أيا أبهة العصرِ المجيد
قد مضيتم ! »
قالها واغرورقت عيناه بالدمع الوئيد
والتقت عيناه فى عينى شهيد
ثم يعدو بحصانه
يعتلى السورَ ويرنو فإذا الأرضُ بعيد
ثم تُلقى عينُه دمعاً على وجهِ الحصان
فى حنانْ
« يا حصانى طرْ بنا »
وإذا الفارسُ فى السحبِ عُقابْ
يتهاوى شاهراً فى الجوِّ سيفَهْ
معطياً للشمسِ أنفَهْ
تاركاً للريح أطرافَ الثيابْ
كَإلهِ وثنىٍّ يتمشى فى السحابْ
فإذا ما قارب الأرضَ قفزْ

والحصانْ

صار أشلاءً على ظهر التلالْ

« قد نجا منهم أمين بك يا رجالْ ! »

قالها الناسُ على ظهرِ التلالْ

ومضوا كالدافنين

ثم يمتد السكون

وحصانٌ يهبط القلعة وحده

مطرقاً يمضغ فى صمت حزينْ

ديسمبر ـ ١٩٥٥

أغنية فى الليل

لو أننا تحتَ المساءِ زهرتانْ
عاريتانْ
أحسَّتا بالبرد فجأةً ، بنقلةِ الزمانْ
فاهتزتا ، ومالتا
حتى تلاقى الشوكُ والندى
وغيَّم الشذى على المكانْ !

ooo

الليلُ يا حبيبتى
أغنيةٌ
دافئةُ المعانْ

رقصةُ مهرجانْ
تجمع ريحَ الشرقِ ، والشمالِ فى مكانْ
تثير فى كل حياةٍ شوقَها لغيرها
فتلعق الأرضُ أصابعَ الزروع
وتحبل الرياحْ
وينعس المنقار فى الجناحْ
وينزل المطرْ !

ooo

حبيبتى . .
ماذا علينا لو رأى القمر ؟

أكتوبر - ١٩٥٧





ميلاد الكلمات

كلمه !

اخضرّت فى قلبِ الظلمه

وأضاءت أرواح الشعراءْ

كلمه !

زرعتها شَفَتى ذاتَ مساءْ

أحبَبْتُ العَالَمَ ذات مساءٍ ، مخنوقِ الأضواءْ

لَمَّا كان الشارعُ ليلاً ، عرشاً للحراسِ

وعلى البعد مدافنُ ، كانت تطوى خطو الناسِ

والكلبُ يفتِّش عن لقمه

وأنا أبحثُ تحت الشرفات عن البسمه !

لم يعثر ، وأنا لم أعثر

فرجعنا ! نبح الكلب ، وضمّتنا الطرقات
واجهنا الجدران الجهمه
واجهنا أسواراً ، أسلاكا
واجهنا أشواكا
ورأيت أسيراً ، قسماتى قسماتُكَ فى وجهه
قسماتُ الكلِّ ارتسمت فى وجهه
ومشتْ أحذيةُ الحراسِ
كمطارقَ تملأ إحساسى
تدفعنى فى قلبِ الظلمه
تدفعنى حتى انهرتُ ، ركعت
تحت النجمه
قَبّلتُ الأرضَ ، وتمتمت حروفا
يا أرض استمعى لحروفى
حرفاً ، حرفاً زرعتْ شفتى الكلمة
ورواها دمعى ، فاخضرَّت حرفاً ، حرفا
ورأيت البرعمَ يبزغُ مرتجفاً

كتبتْ أوراقُ البرعمِ ما تمتمتُ بأُذنِ الأرضْ
كلمةَ « إنسانْ » !
يا للروعه !
الكلمةُ تنمو بالدمعه
وأخذتُ الكلمةَ جنبَ القلبْ
قرّبتُ الكلمةَ من شوقى
شوقِ الإنسانِ إلى الخضرةِ والحبْ !
ونما حرفٌ ، عانق حرفا
كتبَ « الجنّه ! »
الكلمةُ تنمو بالدمعه
فليسحقْنى الألمُ إذا الكلمةُ عَطِشتْ
كى أسقيَها بدلَ الدمعةِ عشرَ دموعْ
وليزرعْها كلُّ شقىٍّ مثلى ، عرف الجوعْ
وعذاباتِ الحبِّ الخاسرْ
ولتمتدّ جذورُ الكلمةِ نحو قُرانا
نحو قُرانا ذاتِ الدمع الوافرْ

كى تورقَ فى قلبِ قُراناً تلك الكلماتْ
وليقرأها الرجلُ الطيبْ
ولتنضجْ ، ولتصبحْ راياتْ
تتقدمُ خطواتِ الإنسان
نحو الجنه !

سبتمبر ١٩٥٧

حلم ليلة فارغة

أيتها المقاعد الصامته
تحركى .. ليلتنا جديدةٌ
لا تشبه الليالى الفائته
ليلتُنا واسعةٌ مضيئةٌ
وهذه الجدرانْ
تراجعتْ لنجمةٍ تدور
لريح صيفٍ ، أقبلت بشهقةِ الزهورْ
أحسُ أنَ زائراً ما ، يقطع الطريق لى
وبعد ساعةٍ ، إن لم يجىء
سأترك المكانْ
بالأمس طائرُ الغرام زارنى

جناحه أخضرْ

أليس حقاً ما أقولْ ؟

جناحه أخضرْ

وبالندى جناحه مبلولْ !

أليس حقا ما أقول ؟

هنا وقفْ

دار على منازلِ الحيِّ ، ودار وانعطفْ

تابعته .. كان فؤادى يرتجفْ

حتى وقفْ

هنا على الغصن الذى يميل نحونا

وبعد أن مَرَّغ فى الأنسامِ منقارَهْ

واسترجع السرَّ الذى يودُّ إسرارَهْ

قال بصوتٍ ، سِرَّه أنّى الوحيد سامعُه

« يا أيها السعيدْ

عندى كلامٌ لك

حملته من منزلٍ بعيدْ

سيدتى صبيةٌ تسقى الزهورَ بالنهارْ
وفى المساءِ تستريحُ فى جوارها
وجامعو الثمارِ حين يتعبون
يهوون فى ظلٍّ الجدار
ألم تمرّ من هناك ؟
قلت .. بلى ،
أُمرّ مرّتين ، فى الضحى ، وفى الغروب !
قالَ .. رأتك سيدى ، يا أيها السعيد
وابتسمَتْ ، فهل لمحت ثغرَها الجميلَ يبتسمْ ؟
قلت .. نعمْ !
قال .. أقول والكلامُ سر ؟!
قلتُ .. تكلم ، إننى وحيد
مالى صديقٌ ، غيرُ هذه الكتب
قال .. انتظر غدا !!

ooo

وبعد صمتٍ لم يطل

الطائرُ الأخضرُ طارْ

الغصنُ مازالَ بسحرِه يميلْ

كأنه ما غادر الغصنَ ، ولا اختفى

كأن نجمةً خفيّةً تدور

كأننى أحسّ رحلةَ العصيرْ

وهو يسيرُ فى شرايينِ الزهرْ

كأننى شُجَيْرَةٌ من الشجرْ

مَرّت بها الأمطارْ

فسار فى أعماقها حلمُ الثمرْ

وانحلّت الأسرارْ

بعد طفولةٍ طويلةٍ ، بعد انتظار !

ooo

أيتها المقاعدُ الصامته

مازلتِ صامته !

مازالت الكتبْ
تلاً على الرفوفِ ، قاحلاً بلا زهورْ !
العَالمُ الجميلُ فيها ، كَوْمةٌ من السطورْ !
الليلُ فيها ، ميتٌ بلا شعورْ !
لكننا نقطعه بها
وعندما نملّها ، تأتى الطيور فى المنام
هامسةً .. غداً ، غدا !
لكنّ صبحاً ينقضى ، وَيُقْبِلُ المساءْ
ولا ندى
ولا لقاءْ !!

نوفمبر ـ ١٩٥٧



عبدالناصر

فلتكتبوا يا شعراءُ أننى هنا
أَمُرُّ تحت قوسِ نَصْرْ
مع الجماهيرِ التى تعانقُ السَّنى
تشدُّ شعْرَ الشمسِ ، تلمسُ السماءْ
كأنها أسرابُ طيرْ
تفتَّحت أمامها نوافذُ الضياءْ

ooo

فلتكتبوا يا شعراءُ أننى هنا
أزاحمُ الجموعْ
أخوضُ بحراً أسمر المياه

اخوض بحراً من جباه .

بحر الحياة ـ ما أشدّ عمقه ! ـ بحر الحياه

طوفانه يا شعراءُ سيدٌ مهيبْ

يمضى فتنحنى السدودْ

ويفتح الضياءُ ألفَ كُوَّةٍ عليهْ

ويطلق البوقُ النحاسىُّ النشيدْ

ooo

فلتكتبوا يا شعراءُ أننى هنا

أشاهد الزعيمَ يجمع العرب .

ويهتف « الحريةَ .. العدالةَ .. السلامْ »

فتلمع الدموعُ فى مقاطعِ الكلامْ

وتختفى وراءه الحوائطُ الحجَرْ

حتى العمودان الرخاميان يضمران

والشرفاتُ تختفى

وتمحى تَعَرُّجَاتُ الزخرفِ

ليظهرَ الإنسانُ فوق قمةِ المكانْ
ويفتحَ الكوى لصُبحنا
يا شعراءُ يا مؤرخى الزمان
فلتكتبوا عن شاعر كان هنا
فى عهد عبدالناصرِ العظيم !!

يوليو- ١٩٥٦



بغداد والموت

من قبــل أن يَمُــوتَ كــان ميِّتــاً
يبـكـي ببـغـدادَ زمـانـاً ميِّـتـا
يبحث عن حُجَّابهِ ، عن شاعرٍ
ببـابـهِ ، يُسْمِعـهُ .. أنت الفتى
فـلا يـرى إلا عيـوناً من لـظىً
تمـلأ جوفَ القصرِ رعبـاً صامتـا
إلا قتيـلاً ، لم يمُتْ ، ولم يـزلْ
يسأل بغدادَ .. متى الثأرُ ، متى ؟

ooo

بغدادُ دربٌ صامتٌ ، وقُبّةٌ على ضريحْ

ذبابةٌ فى الصيفِ ، لا يهزُّها تيّارُ ريحْ
نهرٌ مضتْ عليه أعوامٌ طوالٌ لم يَفِضْ
وأغنياتٌ محزنه
الحزنُ فيها راكدٌ ، لا ينتفضْ !
وميّتٌ ، هيكل إنسانٍ قديمْ
سيفٌ على صدرِ الجدارِ ، خِنجرٌ من النُّضَارْ
أرديةٌ ملوَّنه
غطَّت ضلوعاً من هشيم !
وامرأةٌ تُغلقُ فى وجهِ المساءِ بابها
تَبكى على أخشابهِ أحبابها
وأوجهٌ منقّباتٌ ، لا تبوحْ !
بغدادُ سورٌ ، ماله بابُ
بغداد تحت السطح سردابُ
الفجرُ فيه ، فى سوادِ أحرفٍ على الورقْ
والشمسُ فيه ، واستدارةُ الأفقْ
وشمعةٌ تراقصت من حولها سودُ الظلالْ

وسبعةٌ من الزجالْ
جباههمُ مجرى عَرَقْ
وجوهُهم مُعَتمَّاتٌ لا تبوحْ
عيونُهم لا تستريحْ
تنفذُ فى السردابِ ، تعلو .. حيث بغدادٌ تنوح
تمشى على نقشٍ قديمٍ فى الخشب
« عاش العربْ » !

وأزَّ فى نهايةِ السردابِ بابْ
وشُدّت العيونُ نحوه ، كأنها حرابْ
صدى خُطىً ، أفسد وقعها الكلال
القلبُ دقّ
« النسرُ حطَّ فى دمشق »
« عدنانُ طيرٌ لا يُنالْ » !

ooo

من قاع حُفرتى أُغَنِّى ، يا أوائلَ النهارْ -
أحلم كالبَذورِ فى الثرى بِعيد الاخضرار
وكلما يئستُ من بعثى ، وَمِن صِدْقِ المدار
ندًى ثراىَ دمعُ بغدادَ ، فعاد الانتظارْ

○○○

من قاع حُفرتى رأيتُ الشمسَ تأتى كلَّ يومْ
تأتى ، ولا ترحم نائماً سعيداً طىَّ حِلمْ
تأتى ، ولو لم يَدْعُها كَفٌّ ، ولم يُصَلِّ فمْ
تأتى ، فكم طفلٍ مشى ، وكم طوى الثرى هَرِمْ

○○○

من قاع حفرتى ، سَمعْتُ قصتى تطوى البلادْ
كالطائرِ الليلىِّ تبكينى ، وتبذرُ السُّهادْ
بغدادْ !
طفلُك القتيلُ ساهرٌ تحت الرمادْ

منتظر أن تكتبى بالفأس تاريخ المعادْ !

OOO

الموتُ ليس أن تُوارَىٰ فى الثرى
ولا الحيـاةُ أن تسـيرَ فـوقَـهُ
الـزرعُ يبـدأُ الحيـاةَ فى الـثرى
ويـبـدأُ المـوتَ إذا مـا شَقَّـهُ
فـامنـحْ هـواك للذى يحيـا ،
وأعطِ للترابِ مـا استباحـوا خـتمَهُ
فلن تمـوتَ يـا مسيـحُ ! إنمـا
عـلى الصليبِ ينتهى مَن دقَّـهُ !

OOO

بغدادُ طفلُها على بابِ الدفاعْ
لم يغتمضْ جفناه ، لم يسكن بجنبِهِ ذراعْ
مرتفعٌ ، وثائرُ الشَّعرِ ، ومطلولُ الجراحْ

كأنه يخطبُ فى جنودِه يوم الصراعْ
كأنه مازال هارباً يعاكس الرياحْ
يا . . يا صلاحْ !
يا . . يا صلاحْ !
أطفالُ بغدادَ بجانبِ الجدارِ يهمسون
رُدَّ علينا ! إنَّ صمتكَ الطويلَ ، يقطعُ الضبرَ الجميلْ
رُدَّ علينا ! ما الذى فعلتَ فى عامِ الرحيلْ
يا قائدَ الثوارِ ! يا حيرانُ بالحلمِ النبيلْ !
هل يجمعِ العُرْبُ الشتات ؟
هل يدفنون قاتلاً ، من قبل أن يموت . . مات ؟!
يا . . يا صلاح !
إلى اللقاءِ ، لن نقولَ . . الوداعْ !

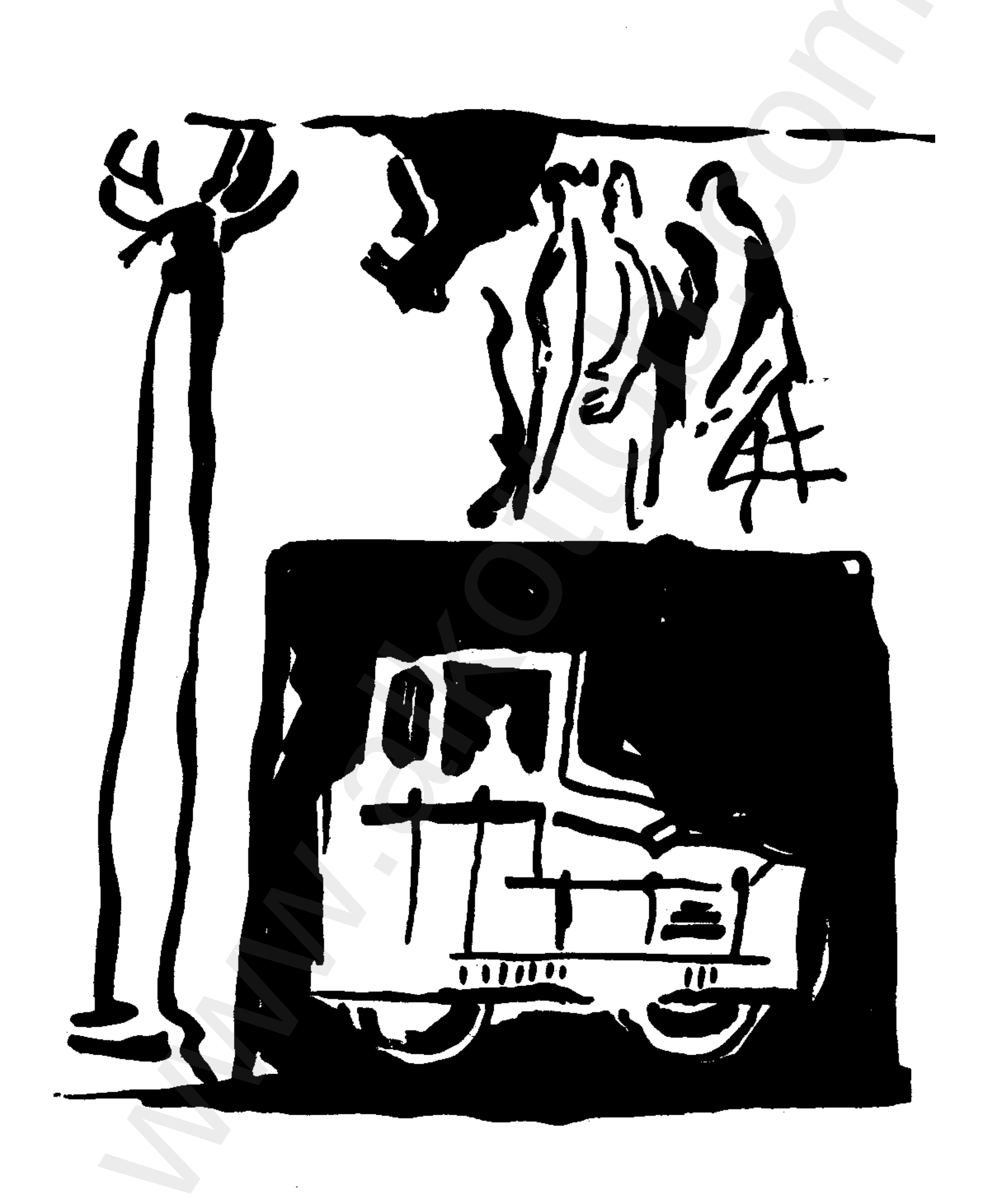
ooo

بغدادُ أرضٌ قلَّبَ المحراثُ فى دروبِها
فأنبتتْ مليونَ ساقْ

تزاحمتْ ، والنوم فى عيونها
وفى ثيابِها روَائحُ الزقاقْ
تزاحمت ، ياويله عبدالإله
من ثورة القتلى ، ومن ثأر الحياه !
الميِّتُ المسكينُ يرمى الموتَ فى وجهِ الجنود
يبحثُ عن باب النجاه
لا تتركوه !
لا تتركوه !
لا ترجعوا من قصره سودَ الوجوه
سدّوا عيونهَ التى أغلقها دون الصباحْ
شُلُّوا يمينَه التى كم حفَرَتْ حُمرَ الجراحْ
يا . . يا صلاحْ
باسمٍ جديدٍ عدت يا شعبَ العراقْ
يا أيُّها الطفلُ القتيلُ ، قد بُعِثْتَ من جديد
يا أهلَ بغداد اخرجوا . . اليومُ عيدْ
عدوُّكم ظلَّ على بابِ الدفاعْ

ظلٌّ بلا ملامحٍ ، بلا ذراعْ
ظلٌّ تعافهُ الطيور ، فادفنوه !

سبتمبر- ١٩٥٨





أنا . والمدينة

هذا أنا،

وهذه مدينتى

عند انتصافِ الليلْ

رحابةُ الميدانِ ، والجدرانُ تلّ

يبين ثم تختفى وراء تلّ

وُرَيْقَةٌ فى الريحِ دارَتْ ، ثُمَّ حَطَّتْ ، ثُمَّ

ضاعَتْ فى الدروبْ

ظِلٌّ يذوبْ

يمتدُّ ظِلّ

وعينُ مصباحٍ فضولىٍّ مُمِلْ

دُستُ على شعاعِه لما مَرَرْتْ

وجاش وجدانى بمقطعٍ حزين
بدأتهُ ، ثم سكتّ
من أنت يا .. من أنتْ ؟
الحارس الغبىُّ لا يعى حكايتى
لقد طُرِدتُ اليومْ
من غرفتى
وصرت ضائعاً بدون اسم
هذا أنا
وهذه مدينتى !

يونيه ـ ١٩٥٧

حب فى الظلام

أُحبّكِ ؟ عينى تقول أُحِبُّك
ورنّةُ صوتى تقول
وصمتى الطويل
وكُلُّ الرفاقِ الذين رأونى ، قالوا . . أَحَبّ !
وأَنتِ إلى الآن لا تعلمين !

OOO

أُحبُّك . . حين أزفُّ ابتسامى
كعابرِ درب ، يمرّ لأول مره
وحين أسلِّمُ ، ثم أمرُّ سريعا
لأدخل حجره

وحين تقولين لى .. إروِ شِعرا
فأرويه لا أتلفّتُ ، خوفَ لقاءِ العيونْ
فإن لقاءَ العيونِ على الشعرِ ، يفتح باباً لطيرٍ سجين
أخافُ عليه إذا صار حرا
أخاف عليه إذا حطَّ فوق يديكِ
فأقصيتهِ عنهما !

ooo

ولكننى فى المساءِ أبوحْ
أسير على رُدُهاتِ السكينه
وأفتحُ أبوابَ صدرى
وأطلقُ طيرى
أناجى ضياءَ المدينة
إذا ما تراقصَ تحتَ الجسور
أقول له .. يا ضياءُ ارو قلبى فإنى أُحِبْ !
أقول له .. يا أنيسَ المراكبِ والراحلين أَجِبْ

لماذا يسير المحبُّ وحيدا ؟
لماذا تظل ذراعىَ تَضربُ فى الشجراتِ بغيرِ ذراع ؟
ويبهرنى الضوءُ والظلُّ حتى
أحسّ كأنِّىَ بعضُ ظلالٍ ، وبعضُ ضياء
أحسّ كأن المدينةَ تدخلُ قلبى
كأن كلاماً يقال ، وناساً يسيرون جنبى
فأحكى لهم عن حبيبى

ooo

حبيبى من الريفِ جاءْ
كما جئتُ يوماً ، حبيبىَ جاءْ
وألقت بنا الريحُ فى الشطّ جوعى عرايا
فأطعمتهُ قطعةً من فؤادى
ومشّطتُ شعره
جعلتُ عيونى مرايا
وألبسته حُلُماً ذهبياً ، وظلّنا نسير

فخيرُ الحياةِ كثير
ويأخذُ درباً ، وآخذُ دربا
ولكننا فى المسا نتلاقى
فأنظر وجه حبيبى
ولا أتكلم

ooo

حبيبى من الريفِ جاء
وأحكى لهم عنكِ حتى
ينامَ على الغربِ وجهُ القمر
ويستوطنَ الريحُ قلبَ الشجرْ
وحين أعودُ ، أقول لنفسى
غداً . سأقولُ لها كلَّ شىء !

مايو ١٩٥٧



أغنية انتظار

أنا هنا ، على الطريق يا حبيبى أنتظرْ
وفى فمى ابتسامةٌ ، تموتُ ثم تزدهرْ

ooo

العاشقون فى الدجى الصافى ذراعٌ فى ذراعْ
وكِلْمةٌ لكلمةٍ ، وبسمةٌ بلا انقطاعْ
إلا ذراعى لم يزلْ يهتزُّ ، فى ليلِ الضياع
وكِلمتى ، أخافُ أن يَمْضِى الصِّبا ولا تذاعْ

ooo

أَقْبِلْ إلىَّ مرةً ، ترعى السماء محملَكْ

سأوقد الشموعَ لكْ

وأعزفُ القيثارَ لكْ

فإن رَضيتَ يا حبيبى ، كان قلبى منزلَكْ

وإن مَلَلتَ صحبتى ، فاذهب فلن استمهلَكْ

لكننى سأنتظرْ

مهما مضى بى العُمُرْ

أغدو إذا جاء القمرْ

ثم أعود فى السحرْ

وفى الربيع سوف آتى حاملاً لكَ الزَهرْ

وعندما يأتى الخريفُ ، أختفى تحت المطرْ

يوليو - ١٩٥٧





سوريا والرياح

أَلوردُ ، والأحلامُ ، والرجالْ
يقاومون فى الشمالْ
ريحاً بدائيه
أَلوردُ ، والأحلامُ . . صوتٌ لا يزالْ
يرنُّ فى قلبِ اللّيالْ
يقول سوريّه
تقاوِمُ الرّيحَ البدائيهْ

ooo

فى السهل وردٌ ينفضُ الجليدْ
ونبقةٌ تهتز مازالتْ

خضراء مازالتْ
وطفلةٌ خلف الشبابيكِ الزجاجيه
ترنو بحزنٍ هادىء الى الرجالْ
وهم جماعاتٌ على التلالْ
ينتظرون غزوة الرياحْ
من الصباح للصباحْ
يبنون من دفءِ القلوبِ حاجزاً
لا يستطيع خرقَهُ الجليدْ !

ooo

ما أروعَ الصمود !
ما أروعَ النِّزالَ حينما يفرُّ الآخرون
ولا يظل غيرُ فارسٍ وحيدْ
من خلفه الأطفالُ ، والأحلامُ ، والبيوت
تلوح من بعيدْ
تموت أو .. يموت !

ووقتها كل الحياة تنتفض
حياةُ كلٍّ طفلةٍ ، ووردةٍ ، كلٍّ النباتْ
والذكرياتْ
تمشى دماءً فى ذراعه فينتفض
يهوى ويعلو كالشعاعْ
تقاذفته قمة فى الأفق ثلجيّه
يضىءُ فى جو الصراعْ
ويخرقُ الحصارْ

ooo

ما أروعَ الإصرارْ !
ما أروع النزال حينما يفر الآخرون
دمشق خانتها بقية الحصون
ولا تزال
ببسمة الصبرِ البطوليّه
تقاوم الريحَ البدائيّة

يا فارسَ الشمالْ !

يا شعبَ سوريّه

أنت الذى بَقِيتَ فى المجالْ

فاسبحْ عليه إنه اتسعْ

إملأ مكان من وقعْ

واسبحْ على كلٍّ الجهات

إن العروبةَ انتقَتْك ، عمَّدتْك فارساً لها

فاحرُسْ شطوطَها الطوالْ

من غزوةِ الريحِ البدائيّه !

ooo

يا أرضَ سوريّه !

يا حلمَ عينيّه !

تصورى أنى إلى هذا الأوانِ لم أرِكْ

بينا صديقتى الجميلةُ الدمشقيّه

شدت على يدى ، وقالتْ فى المطارْ

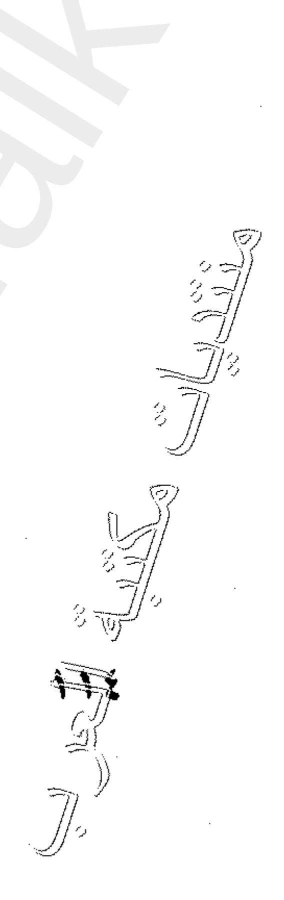
يا صانعَ الأشعارْ
لابد أن تأتى
ففى الأعالىِ من كُوى بيتى
تمد كفّاً ، تمسكُ القمرْ !

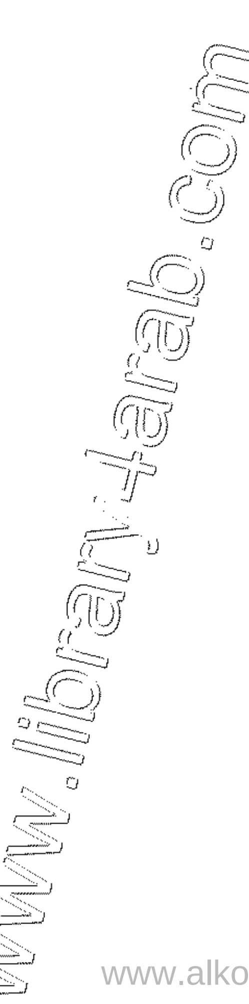
لكننى ما زرتُ حتى الآن سوريّه
يا موطنى الذى وددتُ أن أراه !
حلمتُ أن أدورَ فى علاه
أقولَ أغنيّه
أضاحكَ الجندَ الذين يسهرون
فى ليلةِ المفاجآتْ
فى ليلةِ انتظارِهم لمولدِ الجريمة
وددتُ يا صديقةَ القلبِ الدمشقيّه
لو أننى التقطت بندقيّةً قديمه
كانت لفارسٍ شهيدٍ من أهالى بور سعيدْ

ثم انتفضتُ طائراً لبابِكِ العتيدْ

يا موطني ! يا أرضَ سوريّه !

أكتوبر - ١٩٥٧





دفاع عن الكلمة

« إلى من ماتت كلماتهم ، لأن ضمائرهم ماتت ! »

« أغنية »

فَرَسى لا يكبو

وحسامى قاطعْ

وأنا ألجُ الحَلْبه

مختالاً ، ألج الحلْبَةَ ، أَثنى عِطْفِى

أتلاعب بالسيفِ

لا أرتجف أمام الفرسان !

ooo

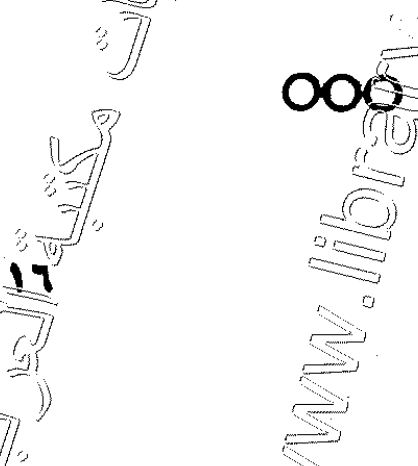
« فخر »

أنا أصغرُ فرسانِ الكَلِمه

لكنى سوف أُزاحمُ من علَّمنى لَعِبَ السيفْ
من علَّمنى تلوينَ الحرفْ
سأمرُّ عليه ممتطياً صهوةَ فرسى
لن أترجَّلْ
لن يأخذنى الخوفْ
فأنا الأصغرُ ، لم أعرفْ بعدُ مُصاحبةَ
الأمراءْ

لم أتعلَّمْ خُلُقَ الندماءْ
لم أَبعِ الكلمةَ بالذهبِ اللألاءْ
ما جرَّدتُ السيفَ على أَصحابى ، فرسانِ
الكلمه

لم أخلَعْ لَقبَ الفارسِ يوماً
فوق أميرِ أبكم !



ooo

« المبارزة »

هأنذا أُلقى فى ثقةٍ بسلامى
من طرفِ حسامى !
هأنذا أَبرُزُ لشهيرٍ ، أعرفُ إسمَه
أنا مجهولُ الإسمِ ، ولكنى أخلعُ قفّازى
أقذِفُهُ فى وجهِ الخائِن لا أعبأْ
أدفعُ فى بطنِ الفَرَس بمهازى
وأَكيلُ الضربَ ، ولا أهدأْ
باسم الكلمه
باسم الأرضِ الخضراءْ
باسم قُرىً غَنَّيناها ، باسم الإنسانْ
تلكَ الكلماتُ الحلوةُ ماتت فى شفةِ الخائنْ
ما عادت فصحى
ما عادت تعصفُ بالقرّاءْ
ما عادت تَلِدُ الجُرحا
والسيفُ إذا دخلَ المعركةَ الخاسرةَ تبلّدْ

صار عصاً فى كَفِّ الملحدْ
وا أسفاه !
إنى أبكى ماضيَهُ ، أُشفِقُ من حاضرِهِ الأسودْ
إنى أرثى إسمَه

يا مشهور الإسم ، عرفت الشهرةَ باسم الكلمه
فلماذا خُنتَ ولَطّختَ السيفَ بدمِّ الفُرسان ؟!
هأنذا أضرب ، لا أهدأ
فرسى لا يكبو
وحسامى لا يخطىء
والسيفُ إذا طاوعنى
فاعلمْ أن الحقَّ معى !

ooo

« المبدأ »
أنا فى صفِّ المخلصِ من أىِّ دِيانه

يتعبّدُ فى الجامع ، أو فى الشارعْ
فكلا الإثنين تعذبُهُ الكلمه
والكلمةُ حِملٌ وأمانه
أنا فى صفّ المخلصِ مهما أخطأْ
فالكلمةُ بحرٌ يُركبُ سبعينَ مساءً
حتى يلدَ اللؤلؤْ
أنا فى صفّ التائبِ ، مهما كان الذنبُ عظيما
فطريقُ الكلمةِ محفوفٌ بالشهواتْ
والقابضُ فى هذا العصر على كلمتهِ
كالمُمْسِكِ بالجمره !

ooo

« ميثاق »
يا أيتُها الكلمه
فرسانُك يهوونَ من الخيلِ على ذَهَبِ
الطرقاتْ

فرسانُكِ رفعوا السيفَ على فرسانِك

فقدوا طَبعَ الحكمه

ماتت خلفَ دروعهمُ روحُ الثوره

عادوا كفره

جحدوا التاريخَ ، ومضَغُوا الشرفَ ،

وصَلُّوا للأمراءْ

تركوكِ لمن زعموكِ ابنتَهُمْ .. يا طفلتىَ المعبوده !

يا روحَ الأيامِ المقبلةِ الخضراء !

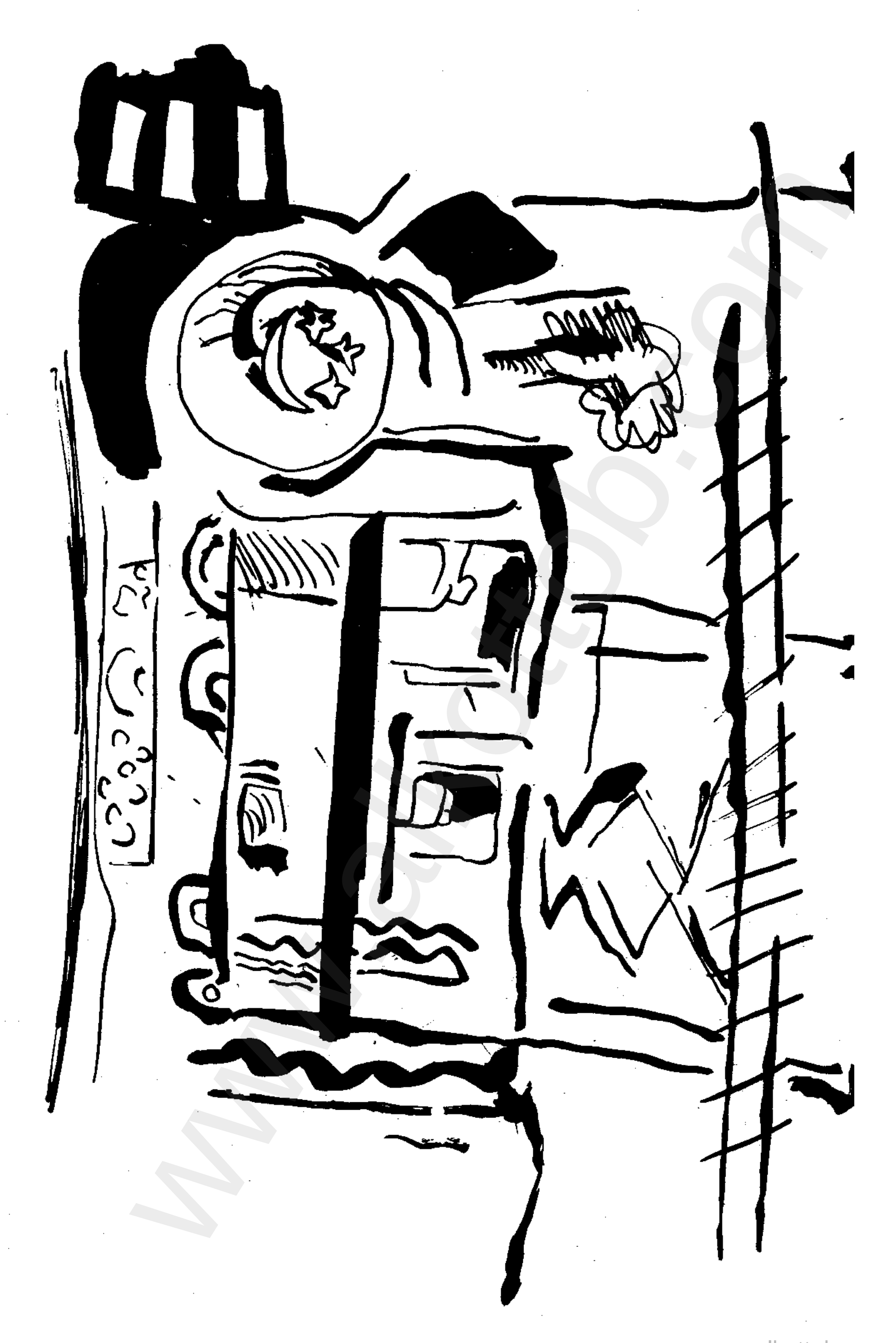
لكنَّا .. نحنُ الفرسانَ الجوعى

سنظلُّ على الخيل ، نَشُدُّ اللجمَ إلى العصرِ

الآتى

أو .. نسقطْ فى الحلْبَةِ صرعى !

أبريل ـ ١٩٥٨





ليس لنا

اخْضَرّتِ الأشجارْ
واحمَرّت الأزهارُ فوقَ خُضرةِ الأسوارْ
وجاءنا ريحٌ من الصحراءِ حارْ
وعرّت البنتُ ذراعَها
فبصّت العيونُ من تحتِ الجفونْ
وارتعشتْ أهدابُها
ثم تراخَتْ فى انكسار !

OOO

كان المريضُ راقداً
يبكى على الصليب

حين أطلَّ رأسُ غُصنٍ من حديدِ النافذه
ثُم انفلت !

000

كان المغنى ذائباً فى أغنيه
تذاعِ دائماً
وربما كان المغنى نائما
بينا تذاعْ
وربما كان المغنى هَرِمًا
لكنها تحكى عن انتظاره تحت المطرْ
تقول إنه سيبقى عمره
ينتظر القمرْ !

000

كان الطريقُ مشمساً ، إلا مواطىءَ الشجرْ
حيث انحنى الأطفالُ يجمعونَ ساقط الزهرْ

وَثمَّ عُصفورٌ على غُصنٍ بعيدٍ يرسلُ الصفيرْ
والناسُ موكبٌ يسير صامتاً ، بجانبِ الجدار
يضيِّقون العينَ فى وجهِ الهجيرْ
وأقبلت سيارةٌ تمشى على مَهَلْ
مذياعُها مازال يشتكى الجوى
أما أنا . . فكنتُ أشكو الجوعْ
فى مطلعِ الربيعْ !

مارس ـ ١٩٥٨



صبى من بيروت

فى العاشره
وقلبه تفاحةٌ خضراءُ
تنفّسَتْ على رُبَى بيروتْ
لكنها اشتاقتْ لريحِ القاهرة
وهى تموتْ !

OOO

من يا تراهُ شدَّهُ مِن مَرقَدِه ؟
أىُّ خَيالٍ جامحٍ ، قاد الصبىَّ من يدِه ؟
أعطاهُ للطريقِ ثائراً وراءَ الثائرين
أعطاهُ عشرا ، فوق عشرٍ ، صار فى العشرين

يملك قلبَ شاعرٍ حزين !
يحمل حزنَ اللاجئين
يملك روحَ شاعرٍ ثائرْ ،
يداه فى الحاضرْ
فى النارِ ، فى بحرِ الدمِ الهادرْ
عيناه فى الآتى
يستشرفان النصرَ موقوتاً بميقاتِ
يرى جموعَ اللاجئين تسرجُ الخيولَ ، كى تعود
يسمعُ أقدامَ الجنودِ من بعيد
وبينه ، وبين زحْفِهم سنين
يحلم بالثلجِ يذوبُ ، يجرفُ السدود
يحلم بالصيفِ العظيمِ ، حينما تأتى إلى لبنان
مواكبُ العربانِ من كلٍّ مكانْ
يقبّلون بعضُهم بعضاً ، ويدبكونْ
يحلم ، لم يحلمْ ، رماه باللظى غادرْ
يألم ، لم يألمْ رأى زعيمَه ناصر

وجهاً على موج الرياحْ
ويغمس الصبى فى الدم الطرىْ أصبُعَا
وينقش اسم ناصر على الجدارِ راعشاً مقطّعا
ويسقط التفاحْ !

ooo

وعندما تأخذه الصدورْ
وتمسحُ العيونُ وجهَهُ المقرورْ
يرونه لم يبلغْ العشرين
يرونه فى العاشره !

أبريل - ١٩٥٨



القديسة

لم تتحسّسْ صدرَها
حين اغتنى ، وصارَ رُمَّانا
ولم تُكلِّمْ فى أمورِ الحُبِّ إنسانا
فقد قَضَتْ عمرَها
حاملةً رسالةً من التلالْ
إلى مخابىءِ الرجالِ فى المدينه
قدّيستى . . كان اسمها جميله !

OOO

أفديهِ مَنْ سمَّى
الوجهُ وجهُ طفلةٍ لم تتركِ الأُمَّا

والعينُ عينُ ساحِرَه
مضيئةٌ كحيله
كأنما اصطادت رموشُها الطويله
من السَّما نَجْما !
كان اسمُها جميله !
والعمرُ عمرُ الزَّهْرِ ، لكنَّ الربيعَ غادر
الزمانْ

لَمَا أتى القرصانْ
عشرون عاماً ، فوقها مائه
منذ أتى القرصانُ حلَّت أوجهُ الأحزانْ
يا ويلتا ! بِطُولِها لم يبتسمْ إنسانْ
لم تبتسمْ جميله
لم تفترشْ عُشباً بجنبِ عاشقٍ تحت القمرْ
لم تعرفِ اللَّثْما
لم تعرفِ الغرامَ ! إلا خاطراً ، حلما
فقد مضى كلُّ فتىً فى سنِّها إلى الجِبال

لم يبقَ منهم واحدٌ تكلمه
لم يبق إلا أن تَشُد نحوهم ، فى كل يومٍ رَحْلها
حاملةً رسالةً من التلال
إلى مخابىء الرجال فى المدينه !

OOO

رسالةٌ فى يدها ، وكلمةٌ فى فمها
من ههنا !
وكلما مرتْ على جماعةٍ من قومها
يُتَمْتِمون فى أسىً مرير
كادت تصيح : « إننى من جبهة التحرير !
وإننى أعلمُ عن رجالِنا الكثير
وإننى لستُ حزينه ! »
وكلما تذكرت يا سيفْ
كادت تطير !
يا سيفُ تحتَ الأرضِ يُمسكُ المدينه

يا سيفُ من خمسِ سنينٍ لم ينَمْ

يا سيفُ عندما يراها يبتسمْ

يُحِبُّ ترديدَ اسمها

يسألها عن أمِّهِ ، عن أُمِّها

وانطلقتْ رصاصةٌ

لكنها مضت تسيرْ

رسالةٌ فى يدها ، وكلمةٌ فى فمها

من ههنا !

رصاصةٌ ثانيةٌ تمددت فى عظمْها

وثالثه !

قدِّيستى ! تغسَّلتْ فى دمِّها

قِدِّيستى ! صَلَّت لأجلها مدائنْ

دَقت نواقيسٌ ، وكبَّرت مآذنْ

طارت طيورٌ فى النواحى باسمها !

ooo

جميلةُ الجميله
تعلم أَنَّ حولَها أَلفَ رسولْ
سيحملون بعدَها الرساله
لكن ترى مَنْ غيرُها يقولْ
« أهواك يا يا سيف ! »

١٩٥٧



رسالة إلى
مدينة مجهولة

أبى

إليكَ حيثُ أنتْ

إليك فى مدينةٍ ، مجهولةِ السبيلْ

مجهولةِ العنوان والدليلْ

إليكَ فى مدينةِ الموتى ، إليكَ حيث أنتْ

أولى رسائلى

وإنها رسالةٌ حزينةٌ حزينهْ

بغير حدْ !

لأنها سترتمى أَمام هذه المدينه

بغير رَدّ

يا غارقاً فى الصمتِ ، يا مُكفَّناً بِه إلى الأبدْ
لن تستطيعَ أن تَرُدْ
فاقرأْ رسالتى ولا تردْ
وإن أهاجت شوقَكَ القديمَ للكلامْ
هب لى لقاءً فى المنامْ !

OOO

أبى
وكان أَنْ ذهبتَ ، دون أن أودعَكْ
حملتَ لحظةَ الفراقِ كلَّها معَك
حملتَ آلامَ النهايةِ ، احتبَسْتَ أدمعَك
أخفيت مَوْجِعَك
فوجهُكَ المحْمُولُ ، كان آخرَ الذى حملتُه معى
يومَ افترقْنا ، لا يزالُ مضجعى
يراكَ ، حينما أراكَ ، بسمةً على الظلام
تنيرُ لى مسالكَ الأيام

وتفرشُ الطريقَ بالسلامِ ، بالسلام !

OOO

أبى

وكان أن عبرتُ فى الصِّبا البحورْ

رسوتُ فى مدينةٍ من الزجاجِ والحجرْ

الصيفُ فيها خالدٌ ، ما بعده فصول

بحثتُ فيها عن حديقةٍ فلم أجدْ لها أثرْ

وأهلُها تحت اللهيبِ والغبارِ صامتون

ودائماً على سفرْ !

لو كلموك يسألون .. كم تكونُ ساعتك ؟

مضيتُ صامتاً موزَّع النظرْ

رأيتهم يحترقونَ وحدَهم فى الشارع الطويل

حتى إذا صاروا رماداً فى نهايتهِ

نما سواهم فى بدايتهِ

وجدّفت ساقُ الوليدِ فوقَ جُثَّةِ الفقيدْ

كَأَنَّ من ماتَ قضى ولم يلدْ
ومن أتى ، أتى بغير أبْ
فُجِعتُ فيهم يا أبى ، كرهتُهم فى أولِ النهارْ
وفى المساءِ قاربَ الظلامُ بين خطونا
رأيتُهم واروْا وراءَ الليلِ موتاهمْ
وانهمرت دموعهم ، واخْضَلَّ سبكاهمْ
وامتدت الأيدى ، وأجهش الطريق بالبكاء
قلت لهم . . يا أصدقاء !
عبرتُ فى الصبا البحور
حملتُ كأسَ عمرىَ الصغيرَ فارغا
لمن يصبّ فيه قطرتىْ سرورْ
طُفتُ بدورْ
طُرِدْتُ مرَةً ، وقيل لى تفضّلْ مرتينْ
مَرَّ الزمانُ . . كلُّ ليلةٍ سَنَهْ
لم أغفُ فيها غيرَ ساعةٍ . وغفوةُ الغريبِ لا تطول
وفى السهاد يرحلُ الخيالُ يعرفُ الكثيرْ

زماننا بخيل !

أوّاهُ ! نحن لا نريدُ غيرَ أن نَظَلّ
نريدُ ما يقيم ساقَنا لنشهدَ الحياه
ونعبرُ البحورَ خلفَ حلمِنا الضئيلْ
ونعرفُ الغربةَ فى الصِّبا ، والخوفَ أن نجوعَ
فى الصباح

لكننا زمانُنا بخيل !
يبخل حتى بالوداع ، حينما يفرِّقُ الطريقُ بين
صاحبين

مات أبى يا أصدقاء !
الغرباءُ ودّعوهُ ، بينما أنا هنا
لمحتُهم فى الضفةِ الأخرى ظِلالاً ، فى غُروبِ
الشمسِ تنحنى
على القبورِ ، ما وجدتُ زورقاً يُقلّنى
لم أستطع وداعَهُ فى يومِهِ الأخير !

ooo

أبى

أقول يا أبى شكرا
ما مرَّ يومٌ دون أن تُومى إلىّ
ما مر يومٌ دونما ذكرىَ
تأتى على جناحِ لحنٍ تائهٍ فى الليلْ
يقولُ للمحبوبِ . . طالت غيبتك !
تأتى إلىَّ عبر طفلْ
يسير وحدَه ، وحينما أَضِلّ
وتُثقِلُ الأحزانُ روحى ، حينما أتوه
أقول يا عينُ اطلبيه !
مازلتُ طفلاً يا أبى ، مازالت الآلامْ
أكبرَ منى ، ما استطعت أن أنامْ
فتستجيب يا أبى
ومثلما كنتَ تعودُ فى أماسىٍّ الشتاء

اتى إلىّ
عباءتُك
لا تفتأُ الرياحُ تستثيرها
تشدُّها إلى الوراءْ
كأنها شراعُ مركَبٍ يُصارِعُ الأنواءْ
وجهُك الحمولُ يفرشُ الرضى على العَناءْ
وفى يديك من نَباتِ الأرضِ ما جمعتَه
وفى اللسان رفرفَتْ تحيةُ المساءْ !
ومثلَ غيمٍ فى ليالى الصيفِ ، يتركُ السماءَ للة
تنقشع الْأحزانُ مِنْ روحى وأحضنُك
بجفن عينى أحضنُك
وأستضيفك المساءَ كُلَّه .. حتى السحَرْ !

ooo

أبى
أقول يا أبى عُذرا

وقعتُ فى هَوَى بُنَيَّةٍ هنا
وأنت كم حذّرتنى من نسوة المدن
لكننى رأيتُها كأنها أنا
فقيرةً ، حزينةً ، مات أبوها يا أبى
وتقرأ الشِّعرا !
أحببتُها ، لكنْ طريقُها طويلْ
وكلُّ أحبابى طريقُهم طويلْ
زمانُنا بخيلْ
والله كم أَوْحَشْتنى .. سَنَه
مضت علىَّ دونَ أن أراك
وسوف تنقضى سَنَه
أخرى ، وتنقضى سنين
ولا أراكْ
وربما أنساكْ !

ooo

رسالتى إليكَ يا أبى حزينةٌ
فى البدءِ والختامْ
فإن أهاجَتْ شوقَكَ القديمَ للكلامْ
هبْ لى لقاءً فى المنامْ !

أغسطس - ١٩٥٧

العيون

كتابةٌ فى عينِ ماء
غيمٌ يذوبُ فى السماء
رسائلى ، بوحى ، حياتى قصةٌ خرساء
تَقُصُّها العيون
لأننى أعيش فى ميناء !
أَحَارُ فى تَعَدُّدِ الأجناسِ ، واللغاتِ والأزياء
فأرقب الحياةَ صامتاً
مُكَبَّلَ الحنين
كأنما بينى وبين الناس قضبانٌ
كأننى سجين !
أُشيرُ ، أَحْلُمُ الحياةَ ، لا أعيشها

أفتحُ عينى ، أَصلُبُ الأشواقَ فى البياضِ
والسوادْ
واعرف السهادْ !

ooo

أَلحزنُ نظرةٌ بلا أهدابْ
كسيرةٌ ، جبانةٌ يخنقُها الضبابْ
ولحظةُ السرورِ حينما تمرّ
تُزهِرُ فى عينِي بَنَفْسَجَه
نديةٌ ، يَهيجُ فى عروقِها الشباب
لو ضَوّأَ الليلُ مباهجَه
لكن حديثُ العينِ دائماً يضيعْ
فحين تُطفأُ الشموعْ
ويُمطِرُ الضبابُ ، حين تَنزِلُ الدموعْ
تنْطَمِسُ الحروفُ فى العيونْ
وتُغَلقُ الأبوابْ !

ooo

الصمتُ ، والجدرانُ ، والظلامْ
آلهةُ البيتِ الذى به أنامْ
آلهةُ لا تعرفُ الكلامْ
أجسادُها مرشوقةٌ عيون
إذا سَهِرْتُ راقَبتْنى ساخره
ولو خَنقْتُ فى السريرِ ضجَةَ الأنوارْ
رأيتها قد غادَرتْ أجسادَها
وطوّفتْ حولى
تُعيدُ فى عينى مناظرَ النهارْ
وأول الليلِ
فلا أنامْ !

ooo

يا جارتى !
عيناكِ أُمِّى وأبى

عيناكِ فى الشبَّاكِ تطلبانِ مثلَ مطلبى
تبتسمانِ إن أتيتْ
تغنيانْ
وإن بكيتُ تبكيان !

○○○

يا طالما واجهتُ هذهِ العيون
عينٌ على شُرْفَه
السورُ والعيونُ بيننا
هل أستطيعُ أن أرى أعماقَها
فى هذه الوقفه !

عينٌ معى تقول أغلقْ بابنا
لكننى أطلقتُ ساقى للدجى
سميتُ جُبنى يومَها عِفَّه !

عينَ تقولُ غيرَ ما تُعطِى الشفاه !
عينٌ زجاجٌ لا ترى فى قاعها معنى
عينٌ ترى لِلْخَلْفِ لا ترى سوى جدرانِها
تمرُّ بالقتيلِ لا ترفُّ فوقَ رأسِه رفَّه !

ooo

يا أصدقائى أقبلوا .. إنىِّ حزين !
تحسّسوا جرحى ، وأَنصِتُوا لسيّالِ الدماء
صوتُ دمائى فى الرمالِ مثل خافتِ البكاء
يا أصدقائى أقبلوا .. صُبُّوا العزاء
صوتُ حبيبى عالَمٌ من الصَّفاء
صوتُ حبيبى جنةٌ خضراءُ ، عصفورٌ يغنى
فى الضياء
يا أَصدقائى أقبلوا
بابى لَكُمْ ، قلبى ادخلوهْ
تزاحموا من حوله فالبردُ يأكلُ الوجوهْ

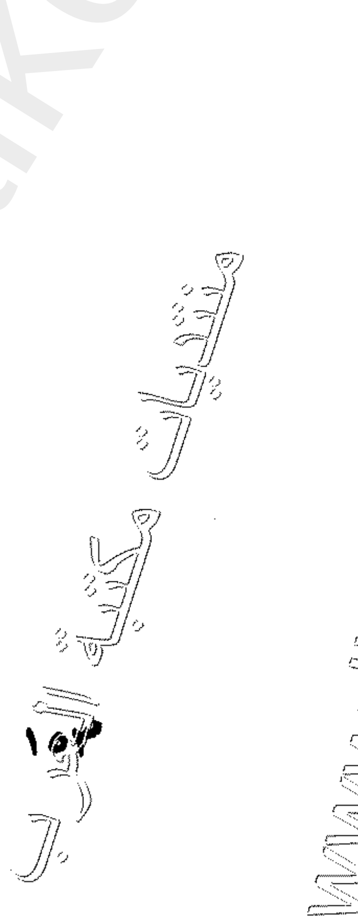
غنوا معى .. إنى حزين !
يا أصدقائى ما لكم لا تسمعون !
وما لها شفاهُكُم ، تَمضُغُ قولاً لا يَبِين
هل مات بيننا الهواء !
أم غاضت الألفاظ من فمى !
فلم يبن إلا دمى !
يا أصدقائى حوّلوا عيونكم
إن قلتُ ما لا تفهمون
عيونكم قيدُ فمى !
عيونكم دقاتُ مسمارٍ يشدُّ فى الصليبِ مِعصمى
عيونكم يا آخرون !

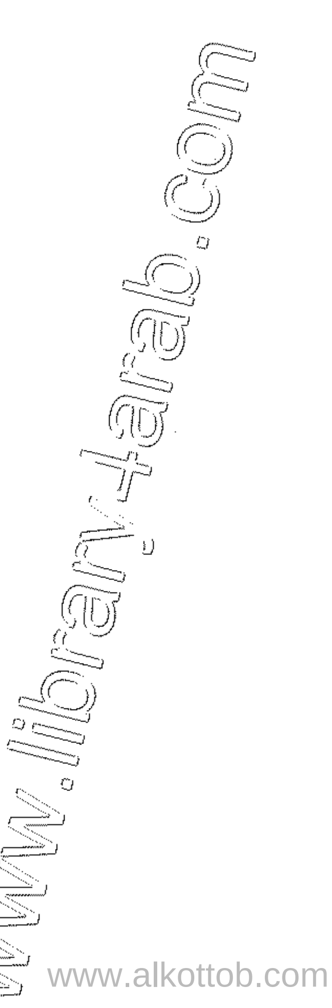
ooo

لو أننى أفصحتُ عما فى العيون
عرّيتُ قوماً من ثيابهم !
لو أننى جسدتها قولاً سحاباتِ الظنون

لأغلقَ الناسُ العيونْ
لهولِ ما يشاهدونْ !

عام ـ ١٩٥٧







عابرة

لم تكُ إلا عابره

لم تكُ إلا غيمةً مرَّتْ علىّ

تُرى على من سوف تَهوِى مُمطره !

○○○

الشمسُ فى السَّما عذابْ

وجبهتى زيتٌ ، وماءٌ وترابْ

ونطرتى ضيقٌ ، وكِلْمتى سبابْ

وانشقتِ الطريقُ فجأةً عن امرأه

ارتفعتْ بالماءِ نافوره

واعترفتْ بالعطرِ قاروره

امرأةً بلّورةً مُضوَّأه

فستانُها الحريرُ فضفاضٌ بلا مِئزرْ

ذراعُها الوردىُّ رَطبٌ ، ناعمُ المنظرْ

كأنما الصيفُ عليها وحدَها .. أمطر !

ولحظُها ما أبرأه !

وخطوُها صيحةُ رملٍ فى انسحابِ خُفِّها

وشعرُها البنىُّ ناعمٌ على أكتافها

وخصلةٌ من شعرِها على الجبين نافره

لكنها

لم تكُ إلا عابره !

ooo

كيف تمرُّ هكذا بلا كلامْ

كيف تغيبُ فى الزحامْ

الغيمةُ العِطرِيَّةُ الأنسامْ !

لمن إذن سَخَتْ عليها الشمسُ والبحارْ

لِمن إذن تغرَّبتْ فى صدرِها الأطيارْ
من ذلك السعيد ؟
صديقُها ؟
عشيقُها ؟
شقيقُها ؟
حتى شقيقها سعيد !
لمن قضى الفنانُ أمسياتهِ
يُبدى ، يُعيد
يسقى الدقيقَ بالحليب
يرمى على النهدِ الزبيب
كى تستقر فوق رأسِه زبيبةٌ ، تُصيب
لِمنْ لِمنْ سارتْ ، وشمسُ الصيفِ فى السما عذابْ
إن لم يكن لى عطرُها ، وكفُّها البضُّ الندىّ
أنا الوحيدُ الطيّبُ الوفىّ
إن لم يكن لى ، فلماذا يا تُرى مَرَّت علىّ ؟
لتسكبَ الزيتَ على اللهيبْ !

لتوقِظَ الأسى ، وتنكأَ الجِراح !

لو أننى سَوَّاحْ

تبعتُها !

لو أننى ساحرْ

أوقفتُها !

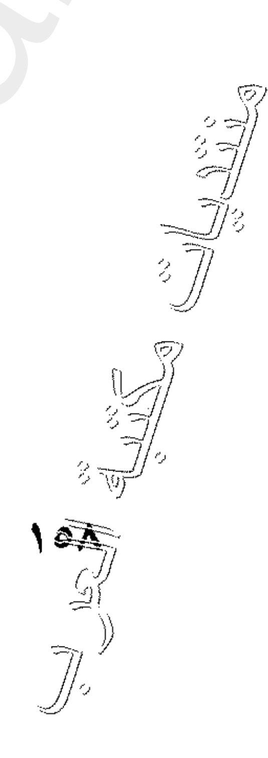
لو أننى مجنون

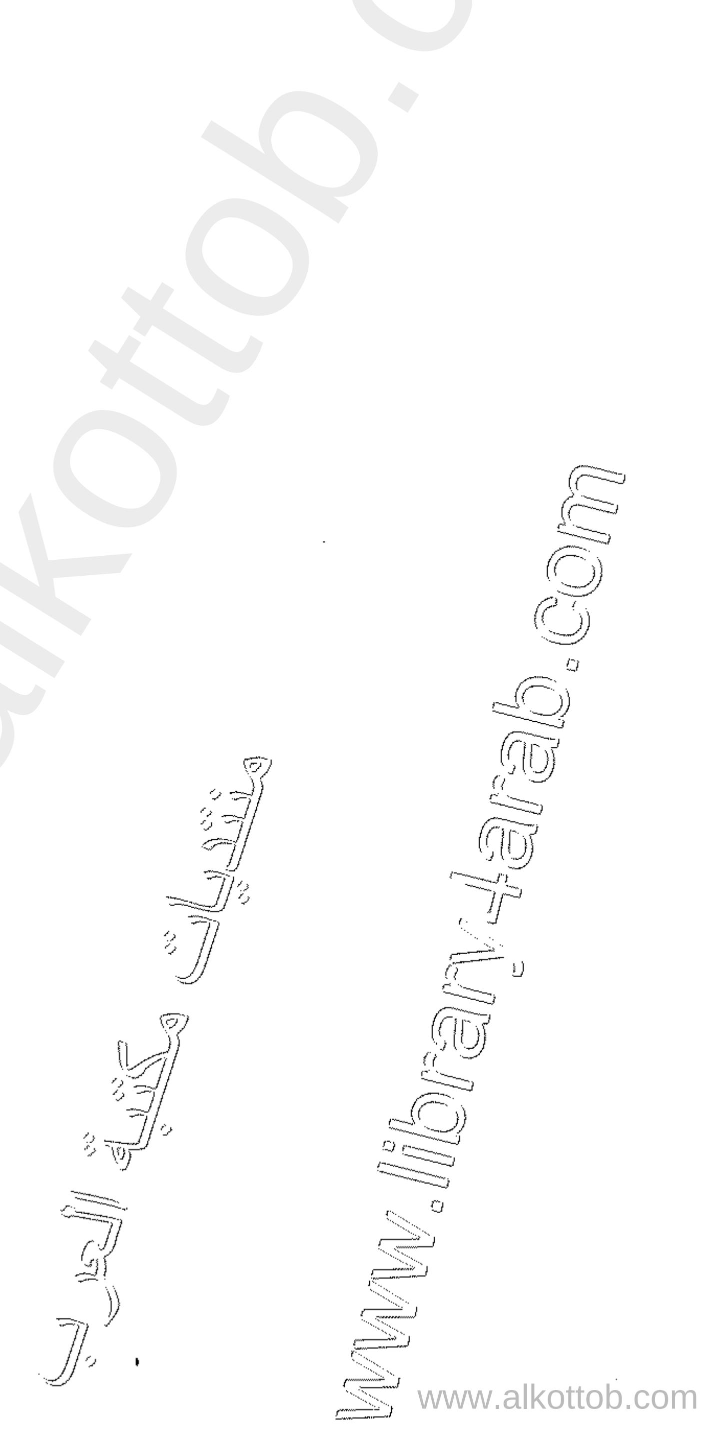
قَبَّلْتُها !

لكننى عاقل

ياويلتا ! لكننى عاقل !

١٩٥٨





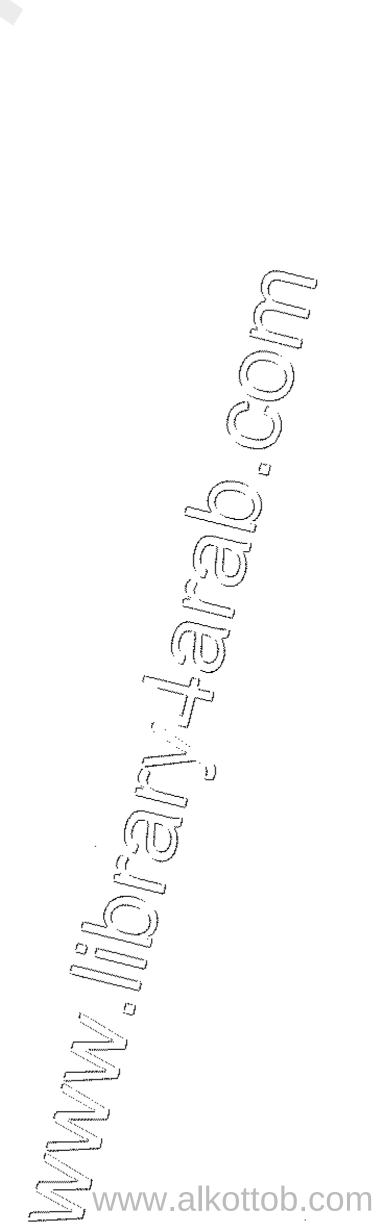
قصـــائد الديـوان

صفحـة



رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية
٨٩ / ٥٩٧٠
ترقيم دولى
٩ - ٣١٧ - ١٢٤ - ٩٧٧

طبع بمطابع أخبار اليوم



طبع بمطابع أخبار اليوم